قسم اللغة العبرية وآدابها

محاضرات في نحو اللغات الساميّة المقارن

جمع و إعداد

د. محمد أحمد على

بسم الله الرحمن الرحيم

بيانات الكتاب

الكلية	الآداب
الفرقة	الثانية – قسم اللغات الشرقية - اللغة العبرية وآدابها
التخصص	علوم اللغة العبرية
تاريخ النشر	٢٠٢٢م
عدد الصفحات	١٨٠ صفحة

فهرس الكتاب

مقدمة : مجالات علم اللغة الحديثة و مناهجه..... ٥
الفصل الأول : علم اللغات السامية المقارن النشأة و التطور ٢١
الفصل الثاني : اللغات السامية..... ٥٢
الفصل الثالث : دراسات سامية مقارنة..... ٩٥
مصادر ومراجع الكتاب..... ١٨٠

مقدمة : مجالات علم اللغة الحديثة و مناهجه

يفرق اللغويون المحدثون بين الدرس الفيلولوجي والدرس اللغوي، فعلم الفيلولوجيا لا تشكل اللغة هدفه الوحيد أو الأساسي ، لأن الباحث الفيلولوجى يهدف إلى دراسة الوثائق والنصوص المكتوبة بغرض الوقوف على لغتها و إعدادها للنشر العلمي ، وفك رموز الكتابات القديمة و كل ما يتعلق بتقديم النصوص والنقوش القديمة على نحو يمكن من القيام بأبحاث متخصصة فيها . ولاشك أن تحقيق النصوص وفك الرموز و نشر النقوش أعمال علمية جليلة ، تقوم عليها دراسات تاريخية أو لغوية أو أدبية الخ، ولكن هذا العمل الفيلولوجي يخرج عن ميدان علم اللغة ، ويعتبر علم الفيلولوجي بهذا المعنى أساسا لعلم اللغة ولغيره من العلوم التي تقوم على النصوص .

أما علم اللغة الحديث فهو العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية ، أو يدرسها - كا قال دى سو سير - لذاتها ومن أجل ذاتها سواء أكانت هذه اللغة منطوقة أم مكتوبة ، و من ذلك نستطيع الوصول إلى مجموعة من القوانين العامة التي تصنع منهجا متكاملا صالحا للتطبيق على أية ظاهرة لغوية وعلى أي مستوى لغوى ،المستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو الدلالى .

وتشكل هذه الجوانب الأربعة أسس البناء اللغوي الذي أوضحناه من قبل ، و لذا يدرس علم اللغة الحث بنية اللغة من الجوانب التالية :

١- دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة، ويتناول ذلك تشريح الجهاز الصوتي لدى الإنسان، ومعرفة إمكانات النطق المختلفة الكامنة فيه، ووصف أماكن النطق ومخارج الأصوات في هذا الجهاز، وتقسيم الأصوات الإنسانية إلى مجموعات، تظهر في كل مجموعة منها خصائص معينة، ودراسة المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم في الكلام، والبحث عن القوانين الصوتية التي تكمن وراء إبدال الأصوات وتغيرها. كل ذلك يتناوله فرع خاص من فروع علم اللغة، وهو "علم الأصوات".

٢- دراسة البنية، أو البحث في القواعد المتصلة بالصيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة، وهو ما يدرس عند العرب باسم "علم الصرف".

٣- دراسة نظام الجملة، من حيث ترتيب أجزائها، وأثر كل جزء منها في الآخر، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض، وطريقة ربطها، وبعض هذه البحوث تدرس عند العرب في "علم النحو".

٤- دراسة دلالة الألفاظ، أو معاني المفردات، والعلاقة بين هذه الدلالات والمعاني المختلفة، والحقيقي منها والمجازي، والتطور الدلالي وعوامله ونتائجه، ونشوء الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد، وغير ذلك. وكذلك دراسة حياة الكلمة عبر العصور اللغوية المختلفة، وما ينتابها من تغير في الصوت والدلالة، وما يطرأ عليها من أسباب الرقي والانحطاط، وعوامل البلي والاندثار.

وتشكل هذه الجوانب الأربعة لب البحث اللغوي الحديث وجوهره و حولها تدور غالية الدراسات اللغوية الحديثة سوا شملتها جميعا أم اقتصرت على بعضها ، و الواقع أن علم اللغة الحديث نشأ في الغرب على يد مجموعة من العلماء وضعوا أسسه ونظموا مناهجه ، أما العلماء العرب المحدثين مازالوا مفتونين بنظريات البحث اللغوي الغربي إلى يومنا هذا ، وكانت الدراسات اللغوية العربية قد توقفت تقريبا بعد زوال الدولة العباسية ، وكان كل جهد يبذل بعد تلك الفترة ، إما في سبيل الشرح أو في سبيل التعليق أو التحقيق أو التصويب ، أما العمل المبتكر .

كـان تعـدد المـدارس اللغويـة الحديثـة فـي الغـرب وتنـوع نظريـات علـم اللغـة الحديث ، واختلاف اللغويين المحدثين في طريقة تناولهم للبحوث اللغوية ، كـان هـذا وغيـره السـبب فـي تنـوع طـرق البحـث واتسـاع أفـق اللغـويين الغـربيين المحـدثين ، ولـذا نجـد منـاهج البحـث اللغـوي الحـديث متنوعـة بحسـب موضـوع البحث و الغاية منـه ، ويمكننـا أن نجمل طـرق ومنـاهج البحـث اللغـوي الحـديث على النحو التالي :

أولا : علم اللغة العام :

يبحث فـي قضـايا اللغـة الإنسـانية بصـفة عامـة ، فينـاقش طبيعتهـا أو وظيفتهـا والعلاقـة بينهـا وبـين غيرهـا مـن الظـواهر الإنسـانية العامـة وكـذلك العلـوم التـي تساعد على فهم حقيقة اللغة و كشف أسرارها ، وهدفه أن يطور النظرية العامة للغـة و الوسـائل الدقيقـة لتحليل الأصـوات والكلمـات و الجمـل والدلالـة ، وبيـان العلاقـة بـين علـم اللغـة و العلـوم الإنسـانية الأخـرى، هـذا بالإضـافة إلـى إيضـاح الجوانـب الحضـارية المختلفـة التـي تـؤثر فـي حيـاة اللغـة ورسـم أسـس المنـهج اللغوي من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية .

ثانيا : علم اللغة التاريخي :

أما المنهج التاريخي ، فيدرس اللغة دراسة طولية ، بمعنى أنه يتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة ، وأماكن متعددة ليرى ما أصابها من التطور ، محاولا الوقوف على سر هذا التطور ، وقوانينه المختلفة .

ويمكننا لذلك ، القول بأن عرض نحو أية لغة ، يكتفي إن أراد الاقتصار على هذه اللغة بوصفها ، غير أن تعليل الظواهر التي توجد في هذه اللغة ، يظل أمرا بالغ الصعوبة ، إذا لم يعرف لهذه اللغة فترات تاريخية متباعدة ، يمكن المقارنة بينها ، ومعرفة صور التطور الناتجة عبر الأجيال الكثيرة ، وعندئذ يمكن الكشف عن السر الذي يكمن وراء إحدى صور هذا التطور .

ولنأخذ مثلا على هذا : اللغة العربية العامية ، التي نتحدث بها اليوم في البلاد العربية ؛ فإن وصف هذه اللغة من نواحيها المختلفة ، أمر سهل ميسور ؛ إذ يقال مثلا : إن الاستفهام يعبر عنه بنبر أحد أجزاء الجملة ، وإن النفي يكون بالأداة : مش مثلا ، وإن ترتيب الجملة فيها : فاعل + فعل + مفعول ... إلخ إلخ . ولكن معرفة سر وصول هذه النواحي المختلفة ؛ من صوتية ، وصرفية ، وتركيبية ، ودلالية ، وغيرها ، إلى ما وصلت إليه ، كان من الممكن أن يظل لغزا ، لولا معرفتنا بالعربية الفصحى ، وكان من الممكن أن يزداد وضوح التطور وأسراره في هذه اللغة العامية ، لو أننا توصلنا إلى معرفة حلقات التطور المختلفة ، منذ الجاهلية حتى الآن .

فالمنهج التاريخي في الدرس اللغوي ، عبارة عن تتبع أية ظاهرة لغوية في لغة ما ، حتى أقدم عصورها ، التي نملك منها وثائق ونصوصا لغوية ، أي أنه عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون ؛ فدراسة أصوات العربية الفصحى دراسة تاريخية ، تبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وتتبع تاريخها منذ ذلك الزمان ، حتى العصر الحاضر ، دراسة تدخل ضمن نطاق المنهج التاريخي ، ومثل ذلك يقال عن تتبع الأبنية الصرفية ، ودلالة المفردات ، ونظام الجملة .

وإذا كان علم اللغة الوصفي ، يمكن أن يوصف بأنه علم ساكن static إذ فيه توصف اللغة بوجه عام ، على الصورة التي توجد عليها ، في نقطة زمنية معينة ، فإن علم اللغة التاريخي يتميز بفاعلية مستمرة dynamic ، فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، وتغير اللغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللغة ، وفي كل اللغات ، كما أن التغير يحدث في كل الاتجاهات : النماذج الصوتية ، والتراكيب الصرفية والنحوية ، والمفردات ، ولكن ليس على مستوى واحد ، وطبقا لنظام معين ثابت، هذه التغيرات اللغوية تعتمد على مجموعة من العوامل التاريخية ، وبينما يمكن دراسة هذه التغيرات دراسة وصفية ، هي محض تعريف بأشكال التغيرات الحادثة ، فإنه لا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها ، وإذا كانت الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفي ، هي أن يصف ، ولعلم اللغة التاريخي هي أن

يعرض التغيرات اللغوية ؛ فمن الصعب كثيرا الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العملي ، وذلك لأن كل المصطلحات ، التي استعملت تحت العنوان الوصفى ، قابلة من الناحية العملية للاستعمال مع الفرع التاريخ .

وعلى الرغم من أسبقية علم اللغة التاريخي ، في ميدان البحث اللغوي ، ومن التقدم المطرد ، الذي أمكن تحقيقه خلال القرنين الماضيين ، فمازالت هناك جهود ضخمة يمكن بذلها ، حتى بالنسبة لتلك اللغات ، التي لاقت اهتماما كبيرا ، فإن هناك اكتشافات ضخمة لكتابات مسجلة ، ما تزال يتوصل إليها ، ويجب كلما اكتشف شيء من ذلك ، أن يعاد النظر في النتائج المقارنة السابقة ، التي كان بعضها فرضيا ، ويدخل عليها من التعديلات ما هو ضروري ، بعد الاستفادة من تلك الشواهد الجديدة ... وهنا نجد المنهجين : التاريخي والوصفى ، يدخلان في شكل انسجامى تعاوني مثمر .

ثالثا : علم اللغة المقارن :

ليس المنهج المقارن ، إلا امتدادا للمنهج التاريخي ، في أعماق الماضي السحيق ، وينحصر في نقل منهج التفكير ، الذي يطلق على العهود التاريخية ، إلى عهود لا نملك منها أية وثيقة ،ومع أن المنهج المقارن ، يولى وجهه شطر الماضي السحيق ، فإنه في الواقع لا يؤتي ثمرته ، إلا في اتجاه عكسي ، لأنه يوضح تفاصيل اللغات الثابتة بالوثائق، وأظهر نتيجة لنحو اللغات

الهندوأوروبية المقارن ، تنحصر في تحديد صلات القرابة بين هذه اللغات ؛ فكل اللغات الفارسية ، واللغات السلافية ، والجرمانية ، والرومانية ، والكلتية ، إذا اعتبرت من الوجهة الزمنية ، تبدو للعالم اللغوي ، نتيجة لسلسلة متتابعة من التباين لحالة لغوية واحدة ، سابقة عليها جميعا ، وتسمى باللغة الهندية الأوروبية .

ويتضمن المنهج المقارن أساسا ، وضع الصيغ المبكرة المؤكدة ، المأخوذة من لغات يظن وجود صلة بينها جنبا إلى جنب ؛ يمكن إصدار حكم فيها بعد الفحص والمقارنة ، بخصوص درجة الصلة بين عدة لغات ، والشكل الذي يبدو أقرب صلة إلى اللغة الأم .

ولعل الباحث يكون مطمئنا ، حين يقرر انتهاء لغات متعددة إلى أصل مشترك ، إذا وجد بينها تماثلا كافيا في تركيباتها النحوية ، ومفرداتها الأساسية ، وإذا لاحظ ازدياد قربها بعضها من بعض ، كلما اتجهنا إلى الوراء .

ويقدم لنا النحو المقارن نظاما ، تصنف فيه اللغات في أسرات تبعا لخصائصها ؛ فبمقارنة الأصوات ، والصيغ ، تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة ، في مقابلة البقايا الباقية من حالة قديمة ، وقد نجح اللغويون في أن يحددوا ما قبل تاريخ اللغات الهندوأوروبية ، ولكنهم لم يصلوا إلى معرفة من كانوا يتكلمونها ، ولم يستطيعوا أن يحددوا أسلاف الإغريق أو الجرمان ، أو اللاتين

، أو الكلتيين ، وإنما يعرفون فقط التغييرات التي مرت بها الجرمانية والإغريقية واللاتينية والكلتية ، حتى وصلت إلى الحالة ، التي تكشف عنها النصوص ، أما الأسماء التي أطلقوها على اللغات ، التي أعادوا بناءها ، فقد اتفقوا عليها مجرد اتفاق ؛ فكلمة : الهندية الأوروبية ، إذا أخرجت من الاستعمال اللغوي ، لم يبق لها أي معنى .

ومنذ نشأة طريقة المقارنة بين اللغات - وهي أصلا طريقة تاريخية - وهي تحظى بمكانة مرموقة في علم اللغويات ، كما صارت البحوث اللغوية التاريخية ، وقفا على كبار العلماء والباحثين ، على حين استمرت الطريقة الوصفية كما كانت من قبل ، طريقة عملية ذات نفع عاجل ، تعالج تعلم الناس اللغات الأجنبية ، وتعرفهم بالطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم ،هذا هو المنهج المقارن ، وتلك هي حدوده ، وقد تأثر به دارسو اللغات السامية ، وقطعوا فيه شوطا ليس بالقصير .

وإن من يلج ميدان الدراسة السامية المقارنة ، يدرك على الفور مدى الصعوبة ، التي تقابل الباحث ، عندما يريد الرجوع بظاهرة ما في هذه اللغات إلى أصلها ؛ ذلك لأن هذه اللغات السامية ليست حلقات متصلة في سلسلة لغوية واحدة ، يمكن اعتبار إحداها أقدم اللغات ، والثانية أحدث منها ... وهكذا ، بل هي على العكس من ذلك ، تعد خلفا للغة واحدة ، هي ما اصطلح العلماء على

تسميته بالسامية الأم ، وهذه اللغة لا وجود لها الآن في صورة وثائق أو نقوش مكتوبة .

ولذلك فمن الممكن دراسة كل لغة من اللغات السامية على حدة ، دارسة وصفية وتاريخية منتجة إلى أقصى حد، غير أن استنباط الأصول الأولى ، للظواهر اللغوية المختلفة في هذه اللغات ، أمر بالغ الصعوبة ، وقد حاول العلماء استخدام الطرق العلمية ، التي كشف عنها المنهج المقارن ، وعلم اللغة الحديث ، في الوصول إلى هذه الأصول الأولى ، و لكن لا يجوز للمرء ، أن يطلب الكثير في هذه الناحية : فإن سير تطور اللغات غامض في تفاصيله بالنسبة لنا غالبا ، وذلك في المرحلة السابقة للمرحلة ، التي وصلت إلينا منها وثائق لغوية .

لقد أدى اكتشاف اللغة السنسكريتية ، في القرن الثامن عشر ، إلى نشوء علم اللغة المقارن - كما ذكرنا ، وطمع علماء الساميات في تطبيق المنهج المقارن للغات الهندوأوروبية ، على مجموعة اللغات السامية ، وحاولوا بالمقارنة الاهتداء إلى الأصول الأولى ، وأطلقوا عليها اسم اللغة السامية الأم ، غير أنهم كانوا يدركون تماما ، أن هذه اللغة الأم ، لا تخرج عن كونها افتراضا قابلا للتعديل في أي وقت ، طبقا لما تؤدي إليه بحوث المستقبل .

ولقد كان نولدكه Nildeke على حق ، عندما قال : وإننا نريد أن نوجه سؤالا لمن يظن أن إعادة البناء الكامل للغة السامية الأولى ، ولو بالتقريب ، أمر ممكن ، والسؤال هو : هل يستطيع أحسن العارفين باللهجات الرومانية كلها(الإيطالية والفرنسية والإسبانية) أن يعيد بناء الأصل القديم لهذه اللهجات ، وهو اللغة اللاتينية، لو فرض أنها غير معروفة الآن ؟

ومع كل هذه الصعوبات ، أثمرت الدراسات السامية المقارنة في القرن الماضي ، والقرن الحالي ، ثمرات عظيمة، وأصبحنا نقف في كثير من المسائل فيها ، على أرض ليست هشة، والفضل في كل هذا للمستشرقين من علماء الغرب .

رابعا : علم اللغة الوصفي :

من أشهر مناهج البحث اللغوي الحديث ، حيث يقوم بوصف أية لغة من اللغات عند شعب من الشعوب ، أو لهجة من اللهجات ، في وقت معين وكذلك مرحلة زمنية واحدة من تاريخ اللغة ، أي أنه يبحث اللغة بحثا عرضيا لا طوليا ، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة ، ويسجل الواقع اللغوي ، تسجيلا أمينا، بل إن أنطوان مييه A.Meillet

يذهب إلى أبعد من هذا ، حين يرى أن المنهج الوصفي يعنى بدارسة الاستعمال اللغوي في عمومه ، عند شخص بعينه ، في زمان بعينه ، ومكان بعينه ،فالمنهج الوصفي يقوم على أساس وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة ، أي في نواحى أصواتها ، ومقاطعها ، وأبنيتها ، ودلالاتها ، وتراكيبها ، وألفاظها، أوفي بعض هذه النواحي ، ولا يتخطى مرحلة الوصف، والأطالس اللغوية مثال من أمثلة تطبيق هذا المنهج الوصفي على اللغات واللهجات ، فهي لا تعرض علينا سوى الواقع اللغوي مصنفا ، دون تدخل من الباحث بتفسير ظاهرة ، أو تعليل لاتجاه لغوى،هنا أو هناك .

وغالبا ما تنصب هذه الدراسة الوصفية ، على اللغات واللهجات المعاصرة ، وإن كان بعض العلماء ، قد قاموا بمحاولات لدراسة اللغة ، دراسة وصفية في زمن معين في الماضي ، فأية دراسة صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية ، لإحدى اللهجات القديمة أو الحديثة ، تعد دراسة وصفية .

وقد حقق علم اللغة الوصفي في القرن العشرين ، نهضة كبرى ، أدت إلى كثير من التطورات المهمة ، في علم اللغة المعاصر ، وكان القرن التاسع عشر حاملا لكثير من الإرهاصات ، لهذا العلم الحديث ، وكان من أكبر الباحثين ، الذين أثروا في مجال الفصل بين الدراسات الوصفية والتاريخية ، العالم السويسري : فرديناند دي سوسيرF.de Saussure الذي وضع حجر الأساس

في الدراسات اللغوية البنيوية أو الوصفية ، وأثار في كتابه : محاضرات في علم اللغة العام Cours de Linguistique generale الذي نشر بعد وفاته سنة ١٩١٩ م ، وجهة نظر جديدة إذ اعتبر اللغويات الوصفية ، لا تقل أهمية عن اللغويات التاريخية ، كما حدد وظيفة كل منهج وحدوده .

خامسا : علم اللغة التقابلي :

هو من بين المناهج اللغوية الحديثة التي توضح الفروق اللغوية بين لغتين لا تنتميان لأسرة لغوية واحدة غالبا كالعربية والانجليزية مثلا ، و تكون اللغة الأولى هي اللغة الأم ، وهي اللغة التي نشأ عليها الفرد واكتسبها منذ نعومة أظافره، و تكون اللغة الثانية , اللغة المنشودة، التي يبغى الباحث دراستها ويروم اكتسابها ، و يمكن تسميتها أيضا باللغة الأجنبية ، و موضوع علم اللغة التقابلي و هو المقابلة بين نظامين لغويين مختلفين ، هما بالتحديد النظام اللغوي للغة الأولى ، والنظام اللغوي للغة المنشودة ، بهدف إثبات الفروق بينهما وتذليل العقبات التي تصادف من بروم تعلم اللغة المنشودة أو اللغة الأجنبية . والمقابلة هنا غير المقارنة فعلم اللغة المقارن يختلف عن علم اللغة التقابلي ، فالأول هدفه تاريخي و الثاني هدفه تطبيقي في تعليم اللغة المنشودة .

سادسا : علم اللغة الاجتماعي . :

يقوم بدراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع حيث يدرس الظروف الاجتماعية المحيطة باللغة محاولا أن يفسر كنة اللغة كظاهرة اجتماعية ، وأسباب التمايز بين المستويات اللغوية سواء في المستوى الفصيح أو المستوى العامي ، وعوامل تنوع لهجات اللغة الواحدة في بيئتها الاجتماعية ، وظواهر الازدواج اللغوى و تعدد اللغات في المجتمع الواحد وما شابه ذلك، وقد تبلور منهج بحث اللغة اجتماعيا بعد أن أمتزج علم الاجتماع بعلم اللغة الحديث و تأثر رواد البحث اللغوي الحديث في الغرب بعلماء الاجتماع .

سابعا : علم اللغة النفسي :

هذا العلم هو الآخر حديث النشأة، فقد ظهر نتيجة لتأثر علماء اللغة الغربيين بمناهج البحث في علم النفس حيث اتضح لهم أهمية بحث العلاقة بين اللغة بجوانبها المتنوعة و بين القدرات عند الإنسان ، خاصة التفاعل بين اللغة ونفسية المتكلم، ومدى تمكنه من اللغة و عدم خطنه في استخدامها ، و تبيان العلاقة بين اللغة والفكر ، وتوضيح العمليات العقلية عند المتكلم من وقت صدور الكلام حتى وصوله للمتلقي، ومعنى هذا أن علم اللغة النفسي يعتبر اللغة أحد مظاهر السلوك الإنساني ، وإن كان بعض اللغويين المحدثين لا يحبذ بحث الجوانب النفسية بدرجة تطغى على بحث الجوانب اللغوية من أصوات وصرف و نحو ودلالة .

هذه هي أهم مناهج البحث اللغوي الحديث ، وهي كما أسفلنا غربية النشأة وما يهمنا هنا هو علم اللغة المقارن ، و نوع خاص من هذا العلم أعني علم اللغات السامية المقارن أو نحو اللغات السامية المقارن .

الفصل الأول : علم اللغات السامية المقارن النشأة و التطور

يعد علم اللغة المقارن من أقدم مناهج البحث اللغوي عند الغربيين والواقع أن البحث المقارن اتضحت معالمه بعد اكتشاف السير ولم جونز للغة السنسكريتية ، واتضحت العلاقة بين هذه اللغة وأخواتها من لغات أسرة اللغات الهندية الأوربية، وقد نجح علماء اللغة الغربيون في تحديد سمات المنهج المقارن و لكنهم آثروا استخدام مصطلح النحو ، عندما درسوا اللغات السامية التي كانت معروفة عند أوائل علماء الساميات ، ولذا نجدهم يستخدمون تسمية نحو اللغات السامية المقارن ، مقابل تسمية علم اللغات السامية المقارن، و التسميتان بمعنى واحد و لقد استخدمنا هذا التسمية الثانية لأن المقصود بمصطلح النحو عندنا ذو مفهوم خاص إذ ما يزال غالبية الباحثين العرب يفهمون من كلمة النحو القضايا الإعرابية وأجزاء الجملة ووظائف الكلمة داخلها ، وهذه النظرة تختلف عن نظرة الغربيين للنحو ، فهم أثناء تناولهم لعلم اللغات السامية المقارن أو لنحو اللغات السامية المقارن يدرسون جوانب الأصوات (الفونولوجيا) وبنية الكلمة وصغتها (المورفولوجيا)وبنية الجملة بأنواعها (السنتاكس) والدلالة (السيمانتيكس) ، وهذه هي أهم جوانب البحث في علم اللغة الحديث .

كانت اللغات السامية تعرف عند الغربيين في القرن الثامن عشر وما قبله باللغات الشرقية ، وكان أولئك العلماء لا يعرفون من اللغات السامية أو اللغات الشرقية بمفهومها السامي الضيق سوى العربية والعبرية والسريانية ، وكانت العلاقة بين هذه اللغات قد وضحت لدى كبار مستشرقي القرن السابع

عشر من أمثال هوتنجر ، و بوخارت ، وكاستل، ولودولف، ثم أخذت هذه العلاقة تزداد و وضوحا عند علماء القرن الثامن عشر حيث استطاع العالم الألماني شلوتسر أن يتوصل إلى مصطلح السامية الذي صار صفة مميزة للغات المجموعة السامية منذ سنة ١٧٨١م .

غير أن علماء علم اللغات السامية المقارن أو نحو اللغات السامية المقارن لم يكونوا أول من تنبه للعلاقة اللغوية الوثيقة بين لغات أسرة اللغات السامية، بل إن هذه العلاقة الوطيدة و الصلة الوثيقة بين العربية والعبرية و الآرامية والحبشية وغيرها كانت معروفة عند علماء الشرق قبل أن تعرف عند علماء الغرب، ولذا نرى أن نشأة الدراسات السامية المقارنة قد مرت بثلاث مراحل :الأولى عند العرب ، والثانية عند علماء العبرية وعلماء السريانية ، والثالثة عند جماعة المستشرقين .

وإذا بحثنا عن نشأة الدراسات السامية المقارنة عند علماء الشرق فإننا نجد المستشرق جين شرام يؤكد نسبتها إلى علماء السريان، حيث يقول : من المؤكد أنه كانت هناك جهود متواصلة في الشرق بدأها النحاة السريان في العصر البيزنطي واستمرت هذه الجهود في العصر الذهبي للإسلام ، وفي تلك الفترة دونت مصنفات هامة للغاية درس فيها أصحابها اللغات الأدبية الرئيسية الثلاث :العربية والعبرية والسريانية ، وعلى الرغم من تأكيد هذا

الباحث لنشأة الدراسات السامية المقارنة على يد علماء السريان إلا أنه لم يذكر لنا مصنف واحدا من هذه المصنفات الهامة للغاية ، وربما كان هناك شيء من ذلك ، ولكن البداية الحقيقية للدراسات السامية المقارنة تبلورت على يد علماء اليهود في أسبانيا الإسلامية ، وقد أوضح المستشرق أولندوف ذلك بقوله : منذ القرن العاشر الميلادي فصاعدا بدأ النحاة و المفسرون اليهود يفكرون في التشابه الواضح بين العربية والآرامية والعربية ، وذلك بتأثير علم تحقيق النصوص العربية غالبا ، وكان هذا الجهد يخصص في البداية لشرح النصوص التوراتية المهمة ، ولكنه اتسع فيما بعد فشمل ميدان الصرف ، ووصلت هذه المرحلة ذروتها على يد علماء قارنوا الصيغ في العبرية والعربية بدقة، وأوضحوا التشابه الوظيفي بينهما، ففي العراق نجد سعيد بن يوسف الفيومي الملقب ب(سعديا) والمتوفى سنة ٩٤٥ م وهو من المتمكنين من اللغة العبرانية وقد ترجم التوراة وكتب الحكمة إلى اللغة العربية وكان يختار أقرب الألفاظ العربية من نطق اللفظة العبرية .

وفي المغرب والأندلس نجد مناحم بن سروق ودوناش بن لبراط وأبا زكريا يحيى بن داوود بن حيوج وأبا سليمان داود بن إبراهيم الفاسي الذي ألف معجما ضخما للغة العبرية يقع في مجلدين وجعل شرحه للألفاظ بالعربية ونص في أكثر من موضع على التقارب والتشابه بين اللغتين، والمغربي

يهودا بن قريش (مطلع القرن العاشر الميلادي) ،ومروان ابن جناح من القرن الحادي عشر .

وهذان الباحثان يقصران نشأة الدراسات السامية المقارنة على علماء السريان واليهود، و يشيران بجلاء إلى تأثرهما بالدراسات اللغوية الأصلية التي قام بها العلماء العرب في العصور الوسطى ، ومن المؤكد أن الدراسات المقارنة التي قام بها علماء السريان و اليهود ما كان لها أن توجد لولا العلوم العربية في العصر العباسى، وتأثر هؤلاء العلماء بالدراسات اللغوية العربية، والواقع أنه لم يكن جميع القدامى من اللغويين العرب ، على جهل باللغات السامية ، بل كان بعضهم يعرف العلاقة بين العربية وبعض هذه اللغات ، وإن لم تثمر هذه المعرفة عندهم ، في الدرس اللغوي ، ومقارنة العربية باللغات السامية ، والدليل على ذلك أننا نجد في مصنفات بعضهم وفي سير حياتهم ما يشير إلى معرفتهم ببعض اللغات السامية ، فلقد كان عبد الله بن عمر ويجيد السريانية ،وكأن زيد بن ثابت يعرف العبرية إلى جانب السريانية، وكان الشاعر الأموي الطرماح بن حكيم الطائي يستعمل ألفاظا نبطية (آرامية) في أشعاره ، أما الخليل بن أحمد فكثيرا ما أشار إلى كلمات يمنية مستعملة في فصحى زمانه ، بل إنه نص صراحة على أن الكنعانيين كانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية أي تشبهها، حيث عثر على نص خطير في كتاب (العين) للخليل بن أحمد

الفراهيدي يقول : وكنعان بن سام بن نوح ، ينسب إليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية .

كما عرف أبو عبيد القاسم بن سلام اللغة السريانية ، وأداة التعريف فيها ، وهي الفتحة الطويلة في أواخر كلماتها ؛ قال أبو حاتم الرازي : قال أبو عبيد القاسم بن سلام : للعرب في كلامها علامات ، لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه منها : إدخال الألف واللام في أول الاسم ، وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه ، في الرفع والنصب والخفض، كما أدخلوا في (الطور) ، وحذفوا الألف التي في الآخر ، فألزموه الإعراب في كل وجه ، وهو بالسريانية (طورا) على حال واحد، في الرفع والنصب والخفض ، وكذلك (اليم) ، هو بالسريانية (يما) ، فأدخلت العرب فيه الألف واللام ، وصرفته في جميع الإعراب ، على ما وصفت.

وهناك نصوص و شواهد كثيرة تثبت معرفة علماء العرب باللغات السامية وغيرها ، تلك اللغات التي أسموها باللغات الأعجمية ، فأبو بكر الباقلاني يقول :إن كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك الألسنة (الأعجمية) ، وهم من أهل البراعة فيها، وفي العربية، والسيوطي يعرض للكلمات الأعجمية في رأى من

نادي بوجودها في القرآن الكريم، وينص على أنه رأى فيها تأليفا مفردا رواه أبو عبيد عن طريق عكرمة عن ابن عباس ، ويعدد السيوطي حوالي مائة وتسع عشرة كلمة ، ويرجع بعضها إلى الحبشية والعبرية والنبطية والسريانية وغيرها من اللغات الأخرى ، ويروى السيوطي في الوقت نفسه نصا آخر فيقول : قال ابن عبد الملك ابن حبيب : كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربيا، إلى أن بعد العهد وطال ، حرف وصار سريانيا ، وهو منسوب إلى أرض سوري أو سوريانا ، وهي أرض الجزيرة بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق قال : وكان يشاكل اللسان العربي ، إلا أنه محرف ، وهو كان لسان جميع من في سفينة نوح ، إلا رجلا واحدا يقال له جرهم ، فكان لسانه اللسان العربي الأول ... وبقى اللسان السرياني في ولد ارفخشد بن سام ، إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، وكان باليمن ، فنزل هناك بنو إسماعيل، وتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي .

وعلى الرغم ما في هذا النص الهام من سمات الأسطورة إلا أنه يشير إلى إدراك عالم عربي قديم العلاقة اللغوية المتينة بين لغته العربية واللغة السريانية ، ولقد عاش كل من : عبد الله بن عمر ، الطرماح بن حكيم الطائي ، والخليل بن أحمد وأبو عبيد، و عكرمة، وعبد الملك بن حبيب - عاش كل هؤلاء العلماء قبل قيام علماء اليهود بدراساتهم المقارنة بنحو قرنين من الزمان ، ولذا نرجح أن لبنة البحث المقارن قد وضعها علماء العرب وهي تشكل المرحلة الأولى

لعلم اللغات السامية المقارن، وسوف نرى أن المنهج الذي اختطه علماء الفصحى في دراساتهم النحوية و اللغوية كان المنارة التي استرشد بها علماء البيئات الإسلامية، و ساروا على هديها ، وكان من بين هؤلاء العلماء علماء السريانية والعبرية الذين نقلوا المنهج النحوي العربي ، وطبقوه في دراساتهم النحوية لهاتين اللغتين ، وتشهد مصنفات النحو العبري و النحو السرياني ما للنحو العربى من كبير فضل على نحاة العبرية ونحاة السريانية ، ونظرة سريعة في المصنفات القديمة لنحو هاتين اللغتين و الكتب اللغوية التي صنفها علماؤهما تثبت صحة ما نقول ، فهذا هو سعديا بن يوسف الفيومى نفسه يعترف بهذا صراحة في كتابه (إجرون) فيقول : ولاحظ أحد العلماء الأفاضل من الاسماعيليين (العرب) أن الناس يسيئون استخدام اللغة العربية فكتب رسالة تبين لهم الاستعمالات الصحيحة ، ولاحظت أنا مثله أن كثيرا من الإسرائيليين لا يحافظون على القواعد العامة فضلا عن القواعد الدقيقة ، في النطق الصحيح للعبرية ، فهم مخطئون كثيرا عندما يكتبون نصوصا نثرية ، وعندما ينظمون الشعر لا يحافظون إلا على القليل من القواعد القديمة ، أما غالبيتها فيهملونها ... وهذا ما دفعنى إلى تأليف هذا الكتاب في جزءين ليشمل غالبية كلمت العبرية.

سبق أن ذكرنا وجوه التأثير العربي على علماء السريانية والعربية، وأغلب الظن أن علماء الفصحى في عصر النهضة الإسلامية قد أحجموا على

الدراسات النحوية المقارنة رغم معرفتهم بعلاقة القرابة بين الفصحى وأخواتها السامية، بات على نحو ما رأينا آنفا .. ويرجع ذلك إلى عاملين أحدهما شغفهم الكبير باللغة التي نزل بها القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف ، ومن ثم تبحروا في دراسة نحوها وصرفها ، و مختلف جوانب بنيتها اللغوية ، وقاموا بدراسات موسعة شملت مختلف مظاهر التعبير اللغوي عند بدو الصحراء .

و العامل الثاني :هو تقديس اللسان العربي ، فلقد اعتقدوا أن كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهي او يقابل أو بعارض به كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العلى الأعلى خالق كل لغة و لسان ، وهكذا كانت العربية أقدس اللغات، وأفضلها وأم اللغات جميعها وأقدمها، وأفصح الألسنة وأطهرها ومن ثم تولدت بينهم ، خاصة خلال العصر الأموى ، نزعة لغوية حادة صاحبت النزعة العنصرية ، وتعصبت الأولى للغة الدين الحنيف كما تعصبت الثانية للدم العربي .

غير أن النزعة اللغوية قد خفت حدتها بعض الشيء عندما ازدهرت دراسات علماء السريانية و علماء العبرية بعد القرن العاشر الميلادي حيث نجد عالم عربيا هو ابن حزم في القرن الخامس الهجري يذكر لنا في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) بعض مظاهر التغير الصوتي والصرفي لبعض الأصوات والصيغ العربية، وكذلك أدرك ابن حزم الأندلسي علاقة القربي بين العربية والعبرية والسريانية ؛ فقال : إن الذي وقفنا عليه ، وعلمناه يقينا ، أن السريانية

والعبرانية والعربية ، التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير ، واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرس ، كالذي يحدث من الأندلسي ، إذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني إذا رام لغة الأندلس ، ومن الخراساني إذا رام نغمتها ، ونحن نجد من سمع لغة أهل (فحص البلوط) وهي على ليلة واحدة من قرطبة ، كاد يقول : إنها لغة أخرى ، غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير من البلاد ، فإنه بمجاورة أهل البلدة لأمة أخرى ، تتبدل لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله ، ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة ، كلغة أخرى ولا فرق ؛ فنجدهم يقولون في (العنب) :(العينب) ، وفي (السوط) : (اسطوط) ، وفي (ثلاثة دنانير) : (ثلثدا) وإذا تعرب البربري ، فأراد أن يقول : (الشجرة) قال : (السجرة) ، وإذا تعرب الجليقي ، أبدل من العين والحاء : هاء ؛ فيقول : (مهمدا) ، إذا أراد أن يقول : (محمدا) ، ومثل هذا كثير ، فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية ، أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا ، من تبديل ألفاظ الناس ، على طول الأزمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة الأم ، وأنها لغة واحدة في الأصل .

وربما كانت هناك مؤلفات لابن حزم في علم اللغات السامية المقارن أو نحو اللغات السامية المقارن للغات الثلاث التي ذكرها ، ولكن هذه المؤلفات لم

تصل إلينا وفقدت مثلما فقد غيرها من مؤلفات بعض النحاة العرب نحو لغات العجم وصرفها .

وكذلك عرف أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي) اللغة الحبشية ، وأدرك العلاقة بينها وبين العربية ، وألف فيها تأليفا مستقلا ، وقد أشار إلى ذلك في تفسيره الكبير ، المسمى (بالبحر المحيط) ؛ فقال : وأما قولهم : هندى وهندكى في معنى واحد، وهو المنسوب إلى الهند ... فخرجه أصحابنا ، على أن الكاف ليست زائدة ؛ لأنه لم تثبت زيادتها في موضع من المواضع ، فيحمل هذا عليه ، وإنما هو من باب : سبط و سبطر ، والذي أخرجه عليه ، أن من تكلم بهذا من العرب - إن كان تكلم به - فإنما سرى إليه من لغة الحبش ؛ لقرب العرب من الحبش ، ودخول كثير من لغة بعضهم ، في لغة بعض ، والحبشة إذا نسبت ، ألحقت آخر ما تنسب إليه ، كافا مكسورة ، مشوبة بعدها ياء ؛ يقولون في النسب إلى الفرس : الفرسكى ، وربما أبدلت تاء مكسورة ؛ قالوا في النسب إلى جبر : جبرتي ، وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش ، في كتابنا المترجم عن هذه اللغة ، المسمى : بجلاء الغبش عن لسان الحبش أو (نور الغبش في لسان الحبش)، وكثيرا ما تتوافق اللغتان : لغة العرب ، ولغة الحبش ، في ألفاظ ، وفي قواعد من التراكيب النحوية ، كحروف المضارعة ، وتاء التأنيث ، وهمزة التعدية .

واغلب الظن أن هذا اللون من الدراسات النحوية قد توقف في الشرق نتيجة لظلمة الجهالة التي سادت الفكر الشرقي منذ عصر أبي حبان منتصف القرن الرابع عشر، وأدى ذلك إلى جمود البحث اللغوي عند علماء العربية بعد أن مهد بعضهم الطريق للبحث اللغوي المقارن، وأوجدوا بذور علم اللغات السامة المقارن ، فتولاها علماء العبرية و علماء السريانية بالرعاية في فترات ازدهار البحث العلمي في البيئات الإسلامية ، ولكنهم تأثروا بتدهور البحث العلمي العرب مثلما تأثروا بازدهاره ، ومن ثم جمد البحث السامي المقارن عند علماء العبرية بعد زوال الحكم العربي الإسلامي من الأندلس وطرد اليهود منها، و جمد البحث السامي المقارن أيضا عند علماء السريانية حوالي نهاية القرن الثالث عشر حيث انقرض استعمال اللغة السريانية تقريبا وإن ظلت دراستها باقية إلى اليوم في قليل من الأديرة.

ويمكن إجمال الذين عنوا باللغات السامية من قدامى اللغويين العرب على النحو التالي :

١- زيد بن ثابت : قال ابن الأثير : كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بالسريانية فأمر زيدا فتعلمها ، وروى ابن سعد في طبقاته عن ثابت بن عبيد الله عن زيد بن ثابت ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه يأتيني كتب من أناس لا أحب ان يقرأها احد فهل تستطيع أن تتعلم

كتاب العبرانية ؟ (أو قال السريانية) ، فقلت : نعم . قال فتعلمتها في سبع عشرة ليلة .

وروى ابن سعد أيضا عن (خارجة بن زيد بن ثابت) ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال لي : تعلم كتاب اليهود فإني والله ما آمن اليهود على كتابي ، فتعلمته في اقل من نصف شهر .

٢ - ابن عباس : لدينا رسالتان منسوبتان إليه من لغات القرآن أخبر بإحداهما إسماعيل بن عمرو المقرئ عن عبدالله بن الحسين بن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس وقد نشرها الدكتور صلاح المنجد في طبعتين بعنوان (اللغات في القرآن) ، والثانية معزوة لأبي القاسم بن سلام و يرتفع سندها إلى ابن عباس، وقد طبعت على هامش تفسير الجلالين بعنوان (ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل) .

أن ثمة شكا في نسبة تأليف هاتين الرسالتين أو إحداهما إلى ابن عباس ، ولا يمنع ذلك أن تكون المواد والمعلومات الواردة فيهما مما قاله ابن عباس أو حدث به مفرقا وفي مناسبات مختلفة ، ويؤكد ذلك أن كتب التفسير والحديث لا تخلو من نسبة أشياء مشابهة إلى ابن عباس في هاتين الرسالتين وفي ما روي عن ابن عباس في المصادر الأخرى معلومات عن نسبة ألفاظ قرآنية إلي أصول سريانية أو عبرية أو حبشية أو يمنية .

وقد نسب إليه دعاء منظوم بعنوان (دعاء سرياني) طبع في mysove سنة ١٨٧٠ كما طبع في كتاب (مدائح المصطفى) لحبيب محمد القاهري ١٨٩٧ م وبترجمة فارسية في الهند ١٨٧٢ م .

وتخطر بالبال ملاحظة أن ابن عباس تلميذ لزيد بن ثابت وكان يأتيه إلي بيته للأخذ عنه ، ويقول :العلم يؤتى ولا يأتي فلعله علق في ما علق من علمه بطرف من العبرية أو السريانية .

٣- وهب بن منبه :له كتاب (الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم) الذي لم يصل إلينا واستعار منه ابن هشام - مهذب سيرة ابن إسحاق - مقدمة كتابه (التيجان) المطبوع في حيدر أباد.

يقول هوروفتس أنه : لا يذكر أسماء سفر التكوين و أشخاصه طبقا للنص العبري الأصلي فحسب، بل يلاحظ أيضا تحريفات الترجمة السريانية .

ويذكر أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة.

وينسب إلي أم وهب أنها قالت : " رأيك بنحلم كولدك ابنا من طيب " وهو نص يحمل كثيرا من خصائص اللغات اليمنية القديمة، وكانت أم وهب تتكلم الحميرية.

٤- سعيد بن جبير : تورد كتب التفاسير ألفاظا حبشية الأصل نقلا عنه ، اخذ العلم عن ابن عباس ، ثم كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال : أتسألوننى و فيكم ابن دهماء ؟ يعني سعيدا.

ه - مجاهد : أخذ التفسير عن ابن عباس قرأه عليه ثلاث مرات ، كان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها : ذهب إلى (بئر برهوت) بحضرموت . وذهب إلي بابل يبحث عن هاروت وماروت، كان يسأل أهل الكتاب ، ينقل عنه ذكر ألفاظ سريانية الأصل لعلها مما نقل عن تفسيره .

٦- عكرمة :مولى ابن عباس، كان من أعلم الناس بالتفسير، ينقل عنه ذكره لألفاظ حبشية الأصل .

٧- محمد بن السائب الكلبي :له تفسير قد يكون ما نقله عنه أصحاب التفسير في اللغة منقولا عنه.

٨- هشام بن محمد بن السائب الكلبي : يميز عن والده الكلبي بتسميته ب (ابن الكلبي) ، كثير التصانيف ، بروي عنه الهمذاني في الإكليل أخبارا عن القبوريات الحميرية ولدينا رواية الشعر لعمر بن معد يكرب الزبيدي بلهجة زبيد التي فيها آثار يمنية قديمة ، ومن تأليفه (أمثال حمير) .

٩- ابو عمرو بن العلاء : العالم اللغوي النحوي المشهور شيخ الخليل بن احمد الفراهيدي روى عنه ابن سلام الجمحي من طريق يونس أنه قال :

العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم ، وروى قوله : ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا.

١٠- الخليل بن أحمد الفراهيدي : صاحب كتاب العين وله إشارات إلى لغة اليمن وحمير ، وفي كتاب العين إشارة بارعة إلى العلاقة بين اللغتين الساميتين الكنعانية والعربية .

١١- المبرد محمد بن يزيد : النحوي البصري المشهور صاحب كتاب (الكامل) تورد له في كتب التفاسير آراء في أصول الكلمات الدخيلة ولعل هذه الآراء منقولة من كتبه المفقودة (إعراب القرآن) و (الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه) و (معاني القرآن) المعروف بالكتاب التام.

١٢- ثعلب (احمد بن يحيي) : النحوي الكوفي المشهور صاحب (الفصيح) و (مجالس ثعلب)، وتورد له كتب التفسير أيضا آراء في أصول الكلمات الدخيلة لعلها منقولة من كتبه المفقودة (إعراب القرآن) و (غريب القرآن) و (القراءات) .

١٣- الزجاج : هو إبراهيم بن السري بن سهل ، النحوي البصري تلميذ للمبرد، من كتبه (معاني القرآن) والأرجح أن يكون ما نقل عن الزجاج في أصول الكلمات الدخيلة من هذا الكتاب .

١ -ابن دريد : هو اللغوي صاحب كتاب (جمهرة اللغة) الذي فيه كثير من الإشارات إلى لغات سامية يمنية و سريانية ، وله مقارنات صحيحة بين السريانية والعربية وآراء عن العلاقات بين هذه اللغات .

١٥- المسعودي : هو المؤرخ المعروف ، في كتابيه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و (التنبيه والإشراف) والكتاب المنسوب إليه (أخبار الزمان) معلومات دقيقة عن الأمم السامية وعلاقاتها ، بقول كرا تشكوفسكي : من الغريب أن توجد لديه فكرة وحدة الشعوب السامية وذلك قبل عهد طويل من ظهورها كنظرية علمية في أوربا .

١٦- الهمداني : هو المؤرخ والجغرافي اليمني صاحب (الإكليل) و(صفة جزيرة العرب)، قال عنه كراتشكوفسكي : هو لم يكن جغرافيا فحسب بل وخبيرا كبيرا بأنساب العرب وتاريخ الجزيرة العربية نفسها وخاصة آثارها القديمة Archaeology وهو أمر نادر بين العرب ومما يدعو إلى الدهشة حقا أنه استطاع فك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوب الجزيرة، ويقف مصنفه الإكليل الذي يقع في عشرة أجزاء دليلا ساطعا على سعة معارفه ، فقد افرغ فيه جماع معرفته بالأنساب والتاريخ والآثار بل وحتى بأدب الحميريين سكان جنوب الجزيرة في القدم .

ويقول حمد الجاسر : وبواسطة هذا الكتاب أي الإكليل - استطاع المعنيون بدراسة اللغة الحميرية المنقوشة في كثير من الآثار اليمنية ، استطاعوا أن

يقرأوا تلك النقوش .. إذ أن الهمداني قد وضع صورة الأبجدية الحميرية مع ما يقابلها من أبجدية اللغة العربية المعروفة.

١٧- ابن النديم : هو محمد بن إسحاق الوراق البغدادي مؤلف كتاب (الفهرست) الذي انبثت فيه معلومات جليلة عن اللغة السبئية ، ففيه صورة حروف هذه اللغة استخرجها من جزء مما أمر بنسخه المأمون كان في جملته القلم الحميري.

وقد بقيت صورة هذه الحروف واضحة على تداولها بالنسخ ممن لا يعرفون هذا القلم حتى وصلت إلينا ، وأشار أيضا إلى إيراده مثال الخط السرياني الذي سقط من طبعات الفهرست، وأورد صورة الحروف العبرية صحيحة، وانتبه إلى تشابه القلمين الحبشي والحميري وارد مثال الحروف الحبشية.

١٨- ابن حزم الأندلسي : الفقيه صاحب (جمهرة أنساب العرب) و (الفصل بين أهل الأهواء والنحل) وله في كتابه (الأحكام في أصول الإحكام) رأي في العلاقة بين العربية والعبرية والسريانية من أدق الآراء في ذلك .

١٩ -ابو حيان النحوي : هو محمد بن يوسف الأندلسي ، صاحب التفسير المسمى البحر المحيط، وكتاب (ارتشاف الضرب من لسان العرب) وله (نور الغبش في لسان الحبش) المفقود فيه معلومات لغوية صحيحة في جملتها ومقارنات بين الحبشية والعربية اكثر صحة ، وله رأي عن العلاقة

بين لغات العالم عامة و كون اللغات السامية تشكل مجموعة خاصة بين هذه اللغات .

ومما سبق يتضح لنا أن علم اللغات السامية المقارن ، و إن لم يعرف بهذه التسمية ، قد ولد على يد علماء العربية ، وربي على يد علماء العبرية و علماء السريانية ، غير أنه لم يقدر له أن يشب و يزدهر على يد علماء البيئات الإسلامية وانتقل إلى علماء الغرب الذين اهتموا بدراسة اللغات الشرقية منذ بداية النهضة الأوربية الحديثة .

حيث كانت حركة الاستشراق هي العامل الأساسي الذي دفع بعض اللغويين الغربيين للعناية بدراسة اللغات الشرقية (العربية والعبرية والسريانية)، وكانت غالبية المخطوطات الشرقية قد نقلت إلى متاحف أوربا ومكتباتها العامة والخاصة،

ومن ثم توفرت لعلماء الغرب المستشرقين مصادر العلوم الشرقية، واطلع هؤلاء العلماء على المصنفات اللغوية التي شكلت المنابع الحقيقية لدراسات أوائل المستشرقين ، والتي استخلص منها علماء علم اللغات السامية المقارن دراساتهم المقارنة فيما بعد .

ولاشك أن الهدف من تلك الدراسات كان دينيا في أساسه استعماريا في مغزاه ، ولقد برزت جهود رجال الكنيسة في حقل الدراسات السامية منذ أن عرفت صلة القرابة بين لغة الكنيسة في الحبشة واللغات السامية الثلاث (العربية والعبرية والسريانية) ، ومنذ أن نشر العالم بوتسكين عام ١٥١٣م سفر المزامير بالعبرية واليونانية والحبشية و اللاتينية ، وهكذا عرف المستشرقون لغة سامية رابعة في الحبشة (الجعز) وكان أول من ألف في نحوها العالم ماريانوس فيكتوريوس في سنة ١٥٢٢م، و لكن عمله لم يكن سوى محاولة أولية ناقصة ، ولذا يعد العالم هبوب لودولف صاحب كتاب (النحو الإثيوبي) أول من ألف كتابا علميا في نحو الحبشية سنة١٦٦١م استفاد فيه من معرفته بالعربية و العبرية، و لكن اهتمام المستشرقين بالحبشية قد توقف بعد ذلك إلى أن قام العالم دلمان عام ١٨٥٧م بتأليف أول كتاب في القدر الحبشي وأول معجم مقارن للجعز باللاتينية قارن فيه بين كلمات الجعز ونظائرها في العربية والعبرية والآرامية ، ثم أتى بعده علماء كثيرون أشهر هم بريتوريوس، و شين ، و روسيني، و أوندورف وغيرهم ممن تخصصوا في دراسة علم اللغة الحبشية.

وتمثل دراسة هؤلاء العلماء للحبشية أحد نوعى بحوث جماعة المستشرقين ودراساتهم للغات السامية فمنهم من يميل إلى الدراسة التخصصية الدقيقة في لغة سامية واحدة وأحيانا في إحدى اللهجات السامية المعاصرة أو في جانب

معين من جوانب الأصوات أو الصرف أو النحر أو الدلالة ، وهذا ما نسميه بالدرس المقارن الخاص على الرغم من أن صفة المقارن، ليست واضحة في مصنفات المستشرقين الذين مالوا إلى هذا النوع من الدراسات السامية ، و منهم من يفضل الدرس العام فيتناول كافة جوانب البحث اللغوي لجميع اللغات السامية و هذا ما نسميه بالدرس المقارن العام .

إن تقسمنا لبحوث المستشرقين في علم اللغات السامية المقارن على هذا النحو يرجع إلى كثرة البحوث التخصصية التي تنفرد بعلم كل لغة على حدة ، ولكن الباحث كثيرا ما يدعم أقواله بالكثير من المقارنات لكي يوضح حكما لغويا في اللغة التي يدرسها، ولا نقصد بالكثرة هنا في مجال المقارنة سوى الشواهد التي يلجأ إليها المستشرقون المحدثون في توضيح جوانب القضايا اللغوية السامية التي يتناولونها في بحوثهم .

ويرجع السبب في وجود هذين النوعين إلى تشعب مجالات البحث اللغوى الحديث و تنوع المناهج اللغوية على نحو ما أوضحنا سابقا ، الأمر الذي أدى إلى فرض الاتجاه التخصصى بين المستشرقين المحدثين ، ولذا نجد غالبية بحوثهم تخصصية دقيقة في مجملها ، وقليلا ما نجد مؤ لفات شاملة تقارن بين جميع اللغات السامية ، فكتب علم اللغات السامية المقارن أو علم نحو اللغات السامية المقارن الشاملة محدودة للغاية في حين أن مؤلفات المستشرقين التخصصية والتي تقتصر على لغة سامية واحدة كثيرة جدا .

وسبق أن أشرنا إلى جهود المستشرقين في دراسة العبرية والسريانية ، أما العربية الفصحى فقد حظيت بمجهود الكثيرين من الغربيين من أمثال كسبارى ، ورايت ، و برجشتر اسر وغيرهم ، ولا تخلو جامعة غربية من وجود دراسة خاصة باللغات السامية، وما تزال الجامعات الغربية تمنح شهادات الدكتوراه للباحثين المتخصصين في علم اللغة ، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر رسالة الدكتوراه التي منحتها جامعة لندن سنة ١٩٥٥ م للباحث أ . ف. براون عن بحثه (التحليل الصوتي النحوي للهجة العربية في الجزائر) ، ورسالة الدكتوراه التي منحتها جامعة متشجن سنة ١٩٦٠م للباحث ألفرد جورج عن بحثه (الدراسة الآلية للنغم في اللهجة العربية بمصر) ؛ ورسالة الدكتوراه التي منحتها جامعة بالى سنة ١٩٦٤م للباحث فاليري بكر عن بحثه (التغير النحوي في صيغ الأفعال بين العربية الفصحى و لهجة لبنان) ، وغير ذلك من البحوث والرسائل التي تمنحها الجامعات الغربية للباحثين المتخصصين في علم العربية ، هذا بالإضافة لتلك البحوث القيمة التي تمنحها الجامعات الغربية للطلبة الشرقيين الذين يستكملون دراساتهم العليا في هذه الجامعات الغربية .

ولا يقتصر نشاط المستشرقين المحدثين على العربية والسريانية والعبرية والحبشية فحسب بل إن البحوث التخصصية في علم اللغات السامية المقارن قد شملت أيضا اللغات السامية القديمة ، وكان المستشرقون قد اكتشفوا نقوش اللغة العربية الجنوبية ، وكان من أشهر العلماء الذين شاركوا في دراسة هذه النقوش والتخصص فيها العلماء : هاليفي ، وهو ميل ، ولامبرت و هيفنر وغيرهم ، ويعتبر كتاب (نحو العربية الجنوبية) للبحاثة هيفنر من أفضل ما صنف المستشرقون في علم العربية الجنوبية ، وهناك أيضا كتاب (المختصر)للعالم جويدى، وقد كتبه بالعربية و اللاتينية ، والجدير بالذكر أن اكتشاف أول نقوش عربية جنوبية تم في أوائل العقد الثامن من القرن التاسع عشر .

شهد القرن الماضي أيضا اكتشاف لغة سامية جديدة هي الأكدية حيث نجد جهودا مكثفة لجماعة من المستشرقين تسفر في منتصف القرن الماضي عن اكتشاف هذه اللغة السامية القديمة التي ازدهرت في عصور ما قبل الميلاد في بلاد الرافدين واعتبر إدوارد هنكس ، والعلامة رو لنسون من رواد الباحثين في علم اللغة الاكدية التي عرفت طوال القرن الماضي باسم الآشورية ، وكان المستشرق ديلتش أول من ألف في نحو الأكدية سنة ١٨٨٩م ، و تبعه البحاثة فون ذودن صاحب كتاب (الأساس في نحو اللغة الأكدية) .

واصل جماعة المستشرقين جهودهم في الدراسات السامية، وشهد القرن الحالي اكتشاف لغة سامية جديدة لم تكن معروفة من قبل هي اللغة الأوجاريتية ، ففي أواخر العقد الثالث من هذا القرن اكتشفت مدينة أو جاريت (رأس شمره حاليا بالقرب من مدينة اللاذقية في سوريا)، وسرعان ما تمكن العلماء الغربيون من حل رموز النقوش المكتشفة ، ومن أشهر من شاركوا في ذلك العلامة الفرنسي دورم ، و لكن تأليف أول مصنف في نحو الأوجاريتية لم يتم إلا على يد المستشرق جوردون سنة ١٩٤٠م ، وقد وسع جوردون دراسته للأوجاريتية فصدرت في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٦٥م في روما وهي أفضل ما ألف حتى الآن في علم اللغة الأوجاريتية .

وإذا انتقلنا إلى النوع الثاني من دراسات المستشرقين للغات السامية حيث الدرس المقارن الشامل فإننا نجد أن البحوث السابقة قد مهدت لظهور تلك المصنفات الشاملة في علم اللغات السامية المقارن أو علم اللغات السامية المقارن، والواقع أن اكتشاف اللغات السامية السابقة قد أتاح لعلماء اللغات السامية في القرن التاسع عشر والقرن الحالي ما لم يتح لمن سبقهم ، ففي منتصف القرن التاسع عشر كانت اللغات العربية الشمالية والعربية الجنوبية والعبرية والآرامية و السريانية و الحبشية و الفينيقية و الأكدية معروفة للباحثين الأوربيين ، وكان المنهج المقارن الذي صقلته أبحاث اللغات الهندية الأوربية معروفا لهم أيضا ، ومعنى هذا أن البحث المقارن في اللغات السامية

بدأ بداية حقيقية بعد أن اتضحت لهم ملامح هذه اللغات و بعد أن اتضح لهم أيضا منهج علمي لتصنيفها ولمقارنها .

كان تصنيف كتاب جامع يشمل نحو اللغات السامية جميعها قد تأخر إلى العقد الأخير من القرن الماضي حيث قام المستشرق الانجليزى وليم رايت بتأليف أول كتاب في نحر اللغات السامية وهو كتاب (محاضرات في النحو المقارن للغات السامية) ، وينوه رايت في بدايته إلى عدم وجود كتاب شامل في نحو اللغات السامية المقارن ، والجدير بالذكر أنه استنتج من دراسته في هذا الكتاب أن اللغة العربية الفصحى أكثر اللغات السامية المعروفة قرابة إلى اللسان السامي القديم، ودفعه هذا الاستنتاج إلى تشبيه الفصحى بين اللغات السامية بالسنسكريتية بين اللغات الهندية الأوربية .

وأتى بعده المستشرق الألمانى هينرش تسمرن فصنف كتابه المختصر (نحو اللغات السامية المقارن) سنة ١٨٩٨م حذا فيه حذو رايت وسار على منهجه تقريبا وإن خالفه في بعض آرائه وفي كيفية معالجة بعض الظواهر اللغوية .

وفي بداية القرن الحالي بلغت دراسة نحو اللغات السامية المقارن درجة عالية من الدقة العلمية على يد المستشرق الألماني كارل بروكلمان الذي أنهى في سنة١٩٠٨م الجزء الأول من كتابه القيم (الأساس في نحو اللغات السامية المقارن) ، وقد خصصه بروكلمان لدراسة نفس الموضوعات التي درسها رايت وتسمرن ، ولكنه توسع في دراسة الصيغ الصرفية بدرجة ملحوظة ،

وقام في سنة ١٩١٣م بتأليف الجزء الثاني من هذا الكتاب متناولا فيه أنماط الجملة السامية ، و قسمها إلى ثلاثة أنواع هي :

١- الجملة البسيطة

٢ - الجملة البسيطة المتصلة

٣ -الجملة المركبة

ويعد هذا السفر حقا من أفضل المصنفات العلمية الشاملة في نحو اللغات السامية المقارن أو في علم اللغات السامية المقارن ، إذ لم يظهر حتى الآن كتاب آخر يضارعه في قيمته وحجمه ، والملاحظ أن بروكلمان يبدأ في مناقشته للظواهر النحوية بالعربية الفصحى و لهجاتها ، ثم انتقل إلى مناقشة هذه الظواهر في بقية اللغات السامية الأخرى ، ونادرا ما نجده يبدأ بلغة أخرى غير الفصحى ، ومعنى هذا أن بروكلمان يعتبر العربية الفصحى أصدق معيار لغوى يقاس عليه نحو جميع اللغات السامية ، و لقد قام بروكلمان باختصار الجزء الأول من كتابه السابق سنة ١٩١٦م في كتاب آخر له وضعه تحت عنوان : (علم اللغات السامية) ، وربما كان هذا الكتاب أوضح دليل على استخدام علماء الساميات المصطلحي النحو ، و علم اللغة ، بمعنى واحد .

وفي سنة ١٩٢٣م ألف المستشرق أوليري كتابا مختصرا في نحو اللغات السامية المقارن، وهو كتاب لا بأس به، غير أنه لم يرق إلى مستوى كتاب

بروكلمان في شموله و إحاطته بمختلف قضايا علم اللغات السامية المقارن، وقد انتقده بعض المستشرقين و منهم بر جشتراسر الذي قال عنه : غلطاته كثيرة وفائدته قليلة .

ولقد قامت جماعة من المستشرقين مؤخرا بتأليف كتاب آخر مختصر في نحو اللغات السامية وهو كتاب (المدخل لنحو اللغات السامية المقارن) لكل من : سباتينو موسكاتي ، و انطون شبيتالر، وإدوارد اولندورف ، و ولفرام فون سودن ، وربما يكون هذا الكتاب أحدث مؤلفات علماء الغرب في علم اللغات السامية المقارن ، و هو يصر على الجانبين الصوتي والصرفي للغات السامية .

ويجمل بنا و نحن نعرض لتطور علم اللغات السامية المقارن على يد علماء الغرب المحدثين أن نشير إلى بعض المؤلفات العربية في علم اللغات السامية المقارن وأهم هذه المؤلفات كتاب (التطور النحوي للغة العربية) للمستشرق جو تهاف برجشتر اسر ، والكتاب تلخيص لكتاب بروكلمان تقريبا ولكنه يركز على علم اللغة العربية أكثر من غيرها من اللغات السامية ، وكان هذا الكتاب في الأصل عبارة عن محاضرات برجشتراسر في كلية الآداب - جامعة القاهرة، ولقد أدرك أستاذنا الدكتور محمد حمدي البكري أهمية هذه المحاضرات فقام بنشرها سنة ١٩٢٩م .

وهناك أيضا كتاب أستاذنا الدكتور عبد المجيد عابدين وهو بعنوان (المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية) ، وكتاب (دراسات في اللغة العربية) لأستاذنا الدكتور خليل بحى نامى ، وكتاب (فقه اللغة المقارن) للدكتور إبراهيم السامرائي ، وكتاب (بين العربية و لهجاتها والعبرية) للدكتور محمد بحر عبد المجيد .

والواقع أن دراسات المستشرقين قد بلورت منهج البحث في علم اللغات السامية المقارن ، و تعمق الباحثون في نحو اللغات السامية مستعينين في ذلك بمعرفتهم لمنهج البحث في علم اللغات الهندية الأوربية المقارن ، من ناحية، وبحصيلة الاستكشافات الأثرية المتواصلة لوثائق اللغات السامية من ناحية ثانية ، و جهود المتخصصين في تحقيق النصوص القديمة من ناحية ثالثة .

وهكذا يتضح لنا كيف نضج علم اللغات السامية المقارن على يد جماعة المستشرقين ، وكيف بدأت روح البحث العلمي المقارن تدب من جديد في الجامعات العربية فتحى ما اندثر ، وتوصل ما انقطع مستلهمة روح البحث العلمي في عصور النهضة العربية والإسلامية ، ولا ينقص الباحثين العرب سوى وضع منهج واضح

تسير الدراسات المقارنة على هديه ، ومن هنا نلاحظ أن علم اللغات السامية المقارن علم حديث النشأة رغم قدمه ومولده على يد علماء البيئات الإسلامية ،

والسبب في حداثة هذا العلم يرجع للمنهج لا للمادة اللغوية ،فالمنهج حديث دون شك والاستكشافات المعاصرة مكنت علماء الساميات من معرفة حقائق لغوية كثيرة جعلت علم اللغات السامية المقارن يأخذ طابعه العلمي الدقيق .

إن طبيعة المنهج المقارن ذات سمات خاصة تحاول أن تحدد المقاييس اللغوية وطرق التعبير المتنوعة في مجموعة اللغات السامية ، وقد نظر المستشرقون للمقاييس اللغوية السامية بمعيار النحو ، وسبق أن أوضحنا أن مصطلح علم اللغة هو أفضل من مصطلح علم النحو ، بالنسبة للدراسة المقارنة في العالم العربي ، والنحو ليس غريبا عن اللغة ، فكلاهما متلازمان يوجد هو من اجلها وينبع من واقعها و تعيش هى به وتبقى ببقائه ، وهو بالنسبة لها كالعمود الفقري للجسم أو الروح بالنسبة للجسد ، ولعلنا نستطيع أن نعرف علم اللغة المقارن فنقول : إنه النحو المقارن الذي يدرس حقيقة الواقع اللغوي بالمفهوم الغربي، وطرق التعبير المتنوعة في لغات الفصيلة اللغوية الواحدة بهدف معرفة الخصائص اللغوية المشتركة بين لغات هذه الفصيلة والكشف عن عناصرها اللغوية القديمة وكيفية تطورها ، ونحن نحرص على دراسة حقيقة الواقع اللغوي بالمفهوم الغربي ، أما إذا أردنا المفهوم العربي للنحو فإن النحو يكون فرعا من علم اللغات السامية المقارن .

ولقد أثبتت الدراسات السامية المقارنة مدى علاقة القرابة الوثيقة بين اللغات السامية حيث تشترك في الأصوات ، وثلاثة جذور غالبية الكلمات ، والتقسيم الزمني للفعل ، و تقسيم الاسم إلى مذكر و مؤنث ، وصيغ البنية واشتقاقها ، والضمائر وأنواعها ، والحروف و تعددها ، وما إلى ذلك من السمات اللغوية المميزة لأسرة اللغات السامية.

لا يعنى اشتراك اللغات السامية في هذه الخصائص أنها تتفق في كافة الظواهر النحوية اتفاقا تاما، وإلا لما جاز أن نسمي كل واحدة منها لغة ، ولا يعني هذا أيضا ندرة وجوه الشبه بينهما ، وإلا لما جاز أن تصنف في مجموعة لغوية واحدة ، ولكن هذا من أن هناك قدرا من وجوه الاتفاق وقدرا آخر من وجوه الاختلاف بين هذه اللغات .

وتتميز أسرة اللغات السامية عن غيرها من الأسر اللغوية *بوضوح* العلاقة اللغوية فلغاتها أكثر ترابطا بسبب احتفاظها بغالبية عناصرها اللغوية القديمة ، ورغم عوامل التطور ما تزال اللغات السامية الحية تتضمن الكثير من تلك العناصر ، وما تزال روابط القربى واضحة بينها ، ويوضح النحو المقارن هذه العلاقة من خلال دراسة أنماط التراكيب اللغوية و تحليل عناصرها ، والوقوف على صيغ الكلمات وما يعتريها من تغيرات عندما تكون مفردة أو مركبة مع غيرها من الكلمات في إطار الجملة ، ثم توضيح عناصر الكلمة

وتحديد جزئياتها الصوتية ، أي المقاطع بصوامتها وصوائتها، ومن هنا نجد الدراسة النحوية المقارنة تشمل عند المستشرقين ثلاثة جوانب هي : الأصوات (الفونولوجيا) ، والصرف (المورفولوجيا) ، والنحو (السنتاكس) ، ويضاف إلى هذه الجوانب جانب الدلالة (السيمانتيكس) .

الفصل الثاني : اللغات السامية

أولا - تصنيف اللغات السامية

اللغات السامية هي إحدى الفصائل اللغوية الإنسانية، وهي جملة من اللغات كانت شائعة منذ أزمان بعيدة في بلاد آسيا وإفريقية ، سواء منها ما عفت آثاره وما لا يزال باقية إلى الآن، وتقسم بحسب اندثارها وازدهارها ثلاث زمر :

١ - زمرة اللغات المندثرة ، وهي التي انطوت فلم يبق منها إلا عبارات يسيرة، ومثالها الكنعانية القديمة .

٢- زمرة اللغات ذوات النصوص المكتوبة ، وهي التي انحسرت عن الحياة اليومية ، وخلفت نصوص مكتوبة تدل عليها ، وأكثر نصوصها نقوش تحفظها ألواح الحجارة والفخار ، ومثالها الأكادية ، والسبئية3 .

٣- زمرة اللغات الحية المزدهرة، وهي التي أوتيت من القوة ما حفظ لها البقاء، وأمدها بعوامل الماء ، وأقواها العربية ، وتليها العبرية ، والسريانية ، والحبشية السامية.

ويجمع الباحثون المحدثون على أن أول من سماها باسمها (اللغات السامية) هو العالم الألماني شلوتسر Shlozer في بحث نشره عام ١٧٨١م، ثم شاعت هذه التسمية، ولكن السبق إلى التسمية لا يعني السبق إلى الدراسة، فقد عني

العرب المسلمون أو من عايش المسلمين من اليهود بدراسة ما تدعو الحاجة إلى دراسته من اللغات السامية غير العربية .

ورد في الأثر أنه كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بالسريانية ، فأمر زيدا فتعلمها، وذكروا أن أبا سليمان داود بن إبراهيم الفاسي ألف معجما ضخما للغة العبرية ، يقع في مجلدين، وجعل شرحه للألفاظ بالعربية ، ومن يعد إلى مروج الذهب للمسعودي يجد فيه ذكرا الأسماء شهور السريانيين، ولوصف موافقتها لشهور العرب .وقد ذكر الدكتور هاشم الطعان ما أسهم به علماء العرب القدماء في هذا الميدان ، فتحصل له قدر وافر من الإشارات والأخبار الدالة على أن العرب لم يغفلوا عن دراسة اللغات السامية، ولا عن مقارنتها بلغتهم العربية ، ولكنهم لم يبلغوا في هذا الميدان مبلغ الدارسين المحدثين من عرب ومستشرقين .

ومع ازدهار النهضة الأوروبية واكتشاف الآثار والألواح الحجرية التي نقشت عليها نصوص باللغات السامية، ومع تنافس المؤسسات العلمية والتعليمية والإعلامية في السيطرة على الشرق ازدهرت الدراسات الشرقية ، وازدهرت معها دراسة اللغات السامية ، وراحت الجامعات في أسبانيا وإيطاليا وفرنسا وألمانيا تنشئ الكراسي المتخصصة بتدريس اللغات العربية والعبرية والسريانية ، مدفوعة إلى ذلك كله بمطامع استعمارية ، ومشفوعة بنوازع دينية.

ثانيا – أقدم اللغات السامية

ذكرنا قبل أن شلوتسر أطلق على مجموعة اللغات التي كانت شائعة في القسم الجنوبي الغربي من آسيا وفي القسم الشمالي الشرقي من إفريقيا اسم اللغات السامية، ومع أن هذه التسمية لم تنجو من نقد العلماء الآخرين، فقد شاعت، ودل شيوعها على أنها أصلح وأدق ما اهتدى إليه العلماء، وما يسوغ قبول هذه التسمية أنك لو قارنت مجموعة الشعوب الناطقة بفصيلة اللغات السامية بمجموعات الشعوب الناطقة بالفصائل اللغوية الأخرى لوجدت شعوب المجموعة السامية أكثر تجانسا في الأعراق والأخلاق ، وأشد تقاربا في الأمكنة والألسنة، غير أن شرف الفوز بالبذرة السامية الأولى أو بالجذر السامي الأول موضع تنافس، إذ يتنازع قصد السبق أكثر من شعب ، وأكثر من أرض، وآراء العلماء في هذا الميدان يمكن تقسيمها إلى مجموعتين : إحداهما ضعيفة تعوزها الأدلة المرجحة ، والثانية قوية تستند إلى أدلة معقولة .

١- تضم مجموعة الآراء الضعيفة ثلاثة أقوال :

أولها يذهب إلى أن الساميين الأوائل هم أهل الحبشة ، ومن باب المندب رحلوا عنها إلى جزيرة العرب ، وثانيها أنهم ظهروا في أعلى إفريقيا ، فلما كثروا نفروا إلى أدنى آسيا، وثالثها أنهم من أرمينيا جارة كردستان، وليس بين هذه الآراء رأي واحد يرقى من أفق التخمين إلى أفق اليقين.

٢- وتضم مجموعة الآراء القوية ثلاثة أخرى، تستند إلى أدلة تاريخية وشواهد حضارية ترجحها :أولها رأي رآه جويدي Guidi وخلاصته أن المهد الأول للساميين هو القسم الجنوبي من العراق ، ودليله مجموعة من الكلمات السامية القديمة متصلة أشد الاتصال بطبيعة جنوب العراق موجودة في اللغات السامية كلها، وهذا يعني أن تلك الألفاظ خرجت مع الموجة السامية الأولى التي نزحت من العراق ، ثم ثبتت في الألسنة السامية الأخرى بعد أن تشكلت واستقلت،غير أن نولدكه رفض هذا الرأي ، وحجته أن نظرية خطيرة في مثل هذا الشأن، ولها مثل هذا الوزن لا يمكن إثباتها ببضع كلمات، ومما يجعل حجة جويدي داحضة أن في اللغات السامية ألفاظا كثيرة لا صلة لها بمنطقة العراق الجنوبية، وهي من الكلمات التي تشترك الساميات في استخدامها، وهذا يعني أن السامية الأولى لم تخرج من سواد العراق إلى المناطق التي تجاوره .

ثاني الآراء القوية أن المهد السامي الأول سوريا لا العراق ، ففي بلاد الشام ازدهرت حضارة كنعان منذ أزمنة موغلة في القدم، *لأن* التاريخ لم يروى ، فيما روى، أن سوريا شهدت حضارة أقدم من حضارة الكنعانيين ، أما القسم الجنوبي من العراق فتابع في الحضارة لا متبوع، إذ سبقت حضارته الأكادية حضارة أخرى هي حضارة سومر ، فإذا أخذنا بهذا الرأي ثبت لنا أن السوريين الكنعانيين أسبق الساميين إلى الحضارة ، أي أنهم المبتكرون الأوائل

للغة السامية الأولى، وعنهم أخذ السومريون والأكاديون هذه اللغة، ثم غيروا وطوروا قبل مولد المسيح عليه السلام بنحو ثلاثين قرنا .

وثالث الآراء القوية وأقواها قول من قال : إن المنابت الخصبة الأولى للسامية والساميين بلاد نجد والحجاز واليمن، وبهذا الرأي أخذ أكثر المستشرقين ، وعلى رأسهم رينان الفرنسي، وبروكلمان الألماني ، وشفعوا رأيهم بأدلة تاريخية وجغرافية ولغوية ، تثبت أن أرض العرب التي أهدت العالم الإسلام بعد المسيح بستة قرون هي التي أهدت العالم اللغة السامية الأولى قبل المسيح بقرون كثيرة .

أما الدليل التاريخي فخلاصته أن الهجرات البشرية كانت تسير في اتجاه واحد، إذ تخرج من اليمن والحجاز إلى العراق والشام على نحو متواتر ، فمن هذه البقاع خرج الساميون السابقون إلى سومر في العراق ، وأقاموا حضارة بابل، ومنها خرج الساميون اللاحقون إلى سوريا ، فشادوا حضارة كنعان ، ومنها خرجت ثمود ، فأقامت حضارة خاصة بها في القسم الشمالي من الحجاز ، ومنها خرج بنو قيدار ، فبنوا مدائن صالح، ثم اتجهوا نحو خليج العقبة فعمروه وحضروه ، ومنها نبت بنو نابت المعروفين باسم النبط، فشادوا دولة الأنباط في القسم الجنوبي من بلاد الشام، ومنها خرج الغساسنة إلى جلق، والمناذرة إلى الحيرة ، وأخر الهجرات وأبقاها أثرا، وأوسعها حضارة تلك التي انبثقت

من الحجاز مع ظهور الإسلام، فكانت هذه الموجة خير أمة أخرجت للناس، وبقيت لغتها خير لغة أنجبتها السامية، وأرقاها حتى يومنا هذا .

وأما الجغرافيون فيقولون - والقول بلسان الأمير كيتاني دوتيانو: إن الجزيرة العربية من اليمن إلى الحجاز فنجد كانت كثيرة النبات والأقوات، ثم حل بها الجدب بعد الخصب، فنزح أكثر الخلق إلى الشمال، نحو بردى والعاصي والفراتين ، وحملوا معهم فيما حملوا لغتهم أم اللغات السامية .

وأما الدليل اللغوي فجوهره أن اللغات السامية بنات البداوة ، والبداوة بنت الشمس الدائمة البزوغ، وأم الصراحة الكارهة للغموض، والعربية ألصق الساميات بهذه السمات، ولهذا كثرت في مفرداتها الألفاظ الحسية، حتى إنك لتستطيع أن ترد أعمق الألفاظ المجردة ، وألصقها بالعقل والنفس إلى أمور حسية ، فالعقل نفسه من عقال الجمل، والنفس من النفس المتردد في الصدر ، والروح من رواح الريح وغدوها، والعفو عن الذنب متحدر من الريح التي تعفو آثار الديار ، كل ذلك يدل بلا ريب على أن العربية هي السامية الأولى ، وعلى أن المهد الأول للسامين هو الهلال الذي أعلاه نجد ، وقوسه الحجاز ، وأدناه اليمن .

وإذا رجح لديك أن جزيرة العرب مهد الساميين الأوائل ، فقد رجح لديك كذلك أن لغتهم أم اللغات السامية ، غير أن هذا الرجحان لا يعني أن أم الساميات هي

عربية امرئ القيس والشنفرى ، وإنما هي الجدة العجوز السحيقة الغور في تاريخ هذه البلاد ، وهذه الجدة الولود كانت قد تمخضت عن لهجات قبلية كثيرة ، تحولت فيما بعد بعوامل الانفصال والاستقلال، واختلاف الأمكنة و الازمنه من لهجات إلى ألسنة ، هي الأكادية والكنعانية ، وحرصا على توضيح الروابط التي تشد هذه اللغات بعضها إلى بعض، وفروعها إلى أصولها رأينا أن نسلكها في مخطط مشجر ، يتيح للقارئ بالنظرة العجلى أن يعزو كل بنت إلى أمها، وهو كالتالي :

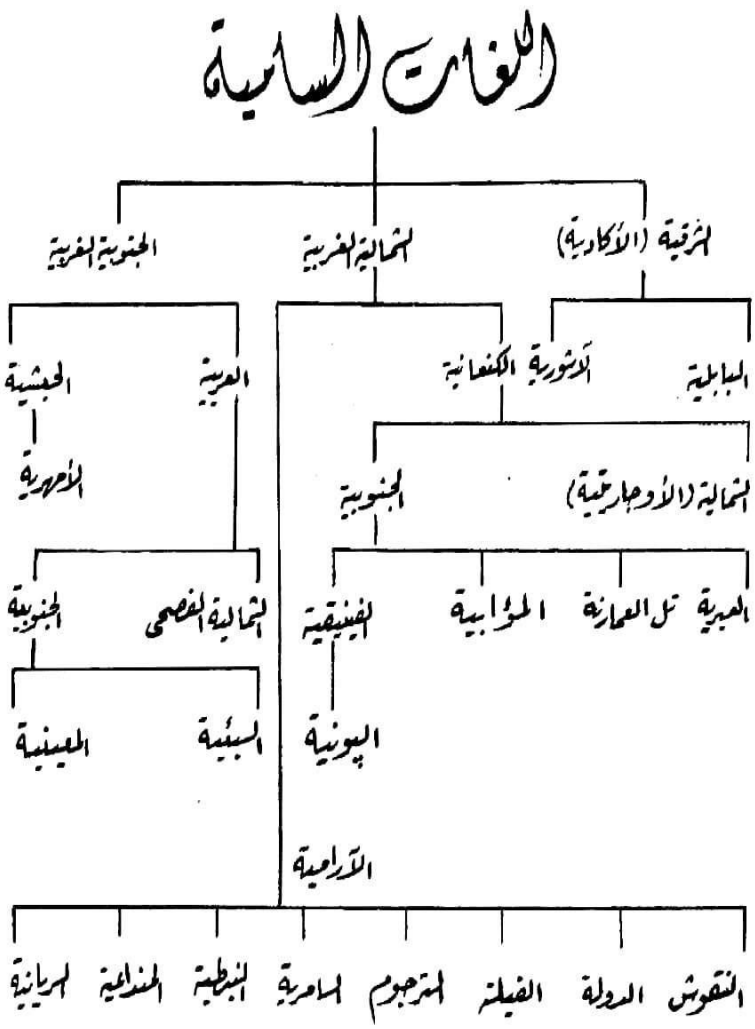

اللغات السامية

ثالثا - أبرز اللغات السامية

سواء أكانت العربية الأم الكبرى للغات السامية أم البنت الصغرى لها، فحسبها وحسب الناطقين بها شرفا إجماع المستشرقين المنصفين على أن أهلها قدموا للبشرية أكثر من موجة مهاجرة ، شادت أكثر من حضارة ، وابتكرت أكثر من لغة، بعضها ساد ثم باد ، وبعضها ما زال حيا قويا يثبت حيوية هذه الفصيلة من البشر ومن الألسنة، كما يبرهن على خصبها الحضاري المتجدد الذي لم ينفد مخزونه منذ أربعين قرنا حتى يومنا هذا، ولما كانت شجرة اللغات السامية كثيرة الأفنان مثقلة بالثمار اليابسة واليانعة ففي عرضها كلها إطالة وملالة ، ولذلك تخيرنا ما نظن أنه أجدر من سواه بالعرض والموازنة .

١- اللغة الأكادية

في الألف الرابع قبل الميلاد شاد السومريون - وهم شعب غير سامي - بين نهري دجلة والفرات دولة مزدهرة ، وفي الألف الثالث غزا هذه الدولة الأكاديون، وهم شعب سامي خرج من جزيرة العرب، ويمم شطر العراق ، واجتاح بلاد سومر، ومن امتزاج السومريين والأكاديين وعلى أنقاض سومر المنهارة نهضت دولة بابل، ثم دولة آشور، و أشهر الزعماء البابليين حمورابي (٢٠٨١ ق .م) صاحب القوانين المشهورة ، ونبوخذ نصر صاحب الحدائق المعلقة ، وأشهر ملوك آشور تفلث قلاصر الأول رجل السيف المحارب الغليظ

الكبد، وآشور بانيبال باني النهضة وراعي الأدب(٦٢٦ق .م) ، ومع أن دولة آشور ورثت دولة بابل، ومع أن بناة الدولتين ساميون منحدرون من عرق واحد، فقد كان لكل دولة منهما لغتها وأدبها وفنونها، وسمي الباحثون المحدثون كلتا اللغتين باسم واحد هو اللغة الأكادية .

لولا التنقيب عن آثار الدولتين الذي أظفر المنقبين بالنقوش المكتوبة ما كشف النقاب عن اللغة الأكادية ، وأول من بدأ الحفر في بلاد الرافدين هو بوتا Bota قنصل فرنسا في الموصل عام ١٨٤٢م ...ثم توالت الاكتشافات بعد ذلك، وشارك فيها كثير من علماء الآثار الفرنسيين والانجليز والأمريكان ، مثل باروت Parot ولايارد Layard ومالونMalloon

وفي عام ١٨٤٧م استطاع الباحث هنري رولنسن H. Rawlinson أن يحل رموز الكتابة الأكادية حينما وجد صخرة نقشت باللغات الثلاث : الفارسية والآشورية والبابلية، فكانت منزلة هذه الصخرة في علم اللغات كمنزلة حجر رشيد في الكشف عن لغة الفراعنة .

ومن يتعقب أطوار اللغة الأكادية بفرعيها البابلي والآشوري يجدها أربعة أطوار : في الطور الأول (في القرن العشرين قبل الميلاد) سادت البابلية ، وفي الطور الثاني (من القرن العشرين إلى القرن السابع قبل الميلاد) ضعفت دولة بابل وظلت لغتها سائدة .

وفي الطور الثالث (طوال القرن السادس ق.م) سقطت الدولة في قبضة الفرس ولم تسقط لغتها، وفي الطور الرابع فرض الآراميون المغيرون على العراق لغتهم على بابل، فانهزمت الأكادية ، وتحولت إلى لغة دين وأدب .

٢- اللغة الكنعانية وما تفرع منها

يرجع الباحثون المحققون أن الكنعانيين شعب سامى، نزح من اليمن والحجاز إلى فلسطين وسوريا، وأنه بدأ مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد ينشىء ممالك قوية ، أخذ سلطانها يمتد حتى شواطئ أوروبا الجنوبية ، وأشهر الشعوب الكنعانية الفينيقيون والعبريون :

أ -الفينيقيون ولغتهم : لم يبرع الفينيقيون في شيء مثل براعتهم في التجارة والكتابة ، وتفوقهم في الأولى يسر لهم سبل التفوق في الثانية، فقد تمخضت تجارتهم التي وصلت إلى رأس الرجاء الصالح عن ثراء كثير ، حتى قيل عن مدنهم :إن الذهب فيها كالوحل، والفضة كالتراب ، وحملتهم التجارة المزدهرة على ابتكار وسيلة كتابية سريعة ، فاخترعوا أعظم المخترعات الثقافية وهو الرسم الأبجدي ، أي الكتابة بالحروف Alphabet أهم خصائص هذه الكتابة استخدام الرموز أي الحروف التي يرمز كل حرف منها للصوت، وهذا الأسلوب يعد أسرع الأساليب وأدناها إلى الكمال ، ولذلك غزت الأبجدية الفينيقية الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة، والخط المسماري الأكادي،

فشاعت وتقبلتها الشعوب واللغات ، وتفرعت منها جميع حروف الهجاء التي استخدمت فيما بعد في مختلف اللغات الإنسانية ، وكان المؤرخون يظنون أن الأبجدية الفينيقية ولدت مع مولد القرن التاسع قبل الميلاد، ودليلهم نقش يعود إلى سنة ٩٠٠ ق .م صنعه الملك المؤابي (ميشع) ليسجل فيه بالأبجدية الفينيقية انتصاره على ملك إسرائيل، ثم اكتشف المنقبون في سيناء نقش أقدم من نقش ميشع، يقدر عمره بخمسة وثلاثين قرنا على الأقل، وهذا يعني أن الأبجدية الفينيقية استخدمت قبل المسيح عليه السلام بنحو خمسة عشر أو عشرين قرنا .

ولم تبرأ الأبجدية الفينيقية - على جمالها وكمالها ويسرها - من النقد، وخلاصة ما أخذ عليها أنها وضعت رموزا للحروف السواكن (ب، ت، ث ...) ولم تعن العناية الكافية بحروف المد اللينة (أ ، و ، ي) ولهذا اضطرت الأبجديات المشتقة منها إلى أن تضيف رموز جديدة، تمثل حروف المد الطويلة (أ، و، ي) ورموز أخرى تمثل حروف المد القصيرة : الفتحة والضمة والكسرة، وهذه الضوابط القصيرة تعلو الحروف أو تنحط عنها لتضبط حركاتها في الخط العربي ، وتعلوها في أغلب الأحيان عند السريان ، وتنحط عنها في الخط العبري .

ولما كانت اللغة أصواتا منطوقة مسموعة قبل أن تكون رموز مكتوبة ، فقد درس علماء اللغة ما ظفروا به من نقوش اللغة الفينيقية في جبيل وصيدا

وصور وقبرص ليقفوا على نطقها وصرفها ونحوها، ثم قارنوها بالعربية والعبرية ، فتبين لهم أنها في النحو والصرف أقرب إلى العربية ، وأنها تبتعد عن العبرية في تركيب الجمل، ولا تشبهها إلا في الجذور أي : في الحروف الأصلية التي تبني منها الكلمات المشتقة .

ب- اللغة العبرية

يعتقد اليهود أنهم في عام ٢٢٠٠ ق . م قدموا من سومر إلى فلسطين ، فنزلوا على سواحلها ، وهذا النزول وضعهم بين حجري الرحى المصريين في الجنوب والفينيقيين في الشمال ، وإن شئت أن تضيف حجر ثالث فأضف الآشوريين في الشرق ، ولذلك لم يستقر بهم المقام، وتعرضوا لغزوات كثيرة ، فنزح كثير منهم إلى مصر، ثم كثروا بالتناسل أيام موسى عليه السلام وتعرضوا لغزو الكنعانيين .

واللغة العبرية التي تعد لهجة كنعانية لم تكن لسان العبريين جميعا ، وإنما كانت لسان فرع واحد من فروعهم، وهو فرع بني إسرائيل، وقد نزح بنو إسرائيل من شبه جزيرة سينا ، وأغاروا على بلاد كنعان، وأهم نص كتب بها هو كتاب العهد القديم .

ثم مرت على العبرية أمور كادت تحطمها، إذ كان السبي البابلي ، وتخريب بيت المقدس على يد بختنصر سنة ٥٨٦ ق .م تجربة قاسية للغة العبرية ، ومع ابتداء العصر الهليني انتهت حياة اللغة العبرية ، إذ لم يستطع ذلك العدد الضخم

من اليهود الذين رحل معظمهم حينذاك ناحية الغرب أن يحتفظ بلغته الأصلية في وسط يتكلم الإغريقية .

وكان زوال ملك اليهود السياسي، وتدمير بيت المقدس، عام ٧٠م بأيدي الرومان من أعظم الحوادث التي أثرت في تاريخ اليهود الديني واللغوي، وغيرت مجراه ، فقد أدى شتاتهم في بلاد العالم إلى تأثرهم بلغات تلك البلاد، وكان أكثرها أثرا في لغتهم هي اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي ،وقد بلغ هذا التأثر درجة جعلت اليهود ينظمون قواعدهم على غرار قواعد النحو العربي ، كما اتخذ شعراؤهم من أوزان الشعر العربي قوالب يصبون فيها

أشعارهم ، وربما كان لتدوين العهد القديم بأسفاره الخمسة ، ثم لتدوين المشنا والتلمود بشروحه المفصلة الأثر الأول في الحفاظ على اللغة العبرية من الانهيار والاندثار ، إذ جعلها هذا التدوين لغة دينية عند اليهود كافة لا عند بني إسرائيل خاصة، غير أن التدوين فصل العبرية الحديثة عن القديمة ، فعبرية اليهود الآن في أوروبا تختلف اختلافا بينا عن العبرية القديمة في القواعد والمفردات والأصوات، وذلك بسبب تأثيرات لغوية محلية ، واليهود الشرقيون الذين يعيشون في الأرض المحتلة اليوم يقلدون اليهود الآخرين القادمين من أوروبا في كل عاداتهم اللغوية .

وليس الخروج عن النطق الصحيح أمرا طارئا على اللغة العبرية ، فقد أصاب لهجاتها المنطوقة ، حتى قبل أن يكون بها العهد القديم والمشنا والتلمود، قدر

كبير من التحريف ، ويفهم مما ورد في الإصحاح الثاني عشر من سفر القضاة أن النطق ببعض الكلمات كان يختلف باختلاف المناطق، وأن بعض المناطق كان يصعب على أهلها النطق بكلمات منتشرة في مناطق أخرى، ومهما يكن من أمر الحفاظ على النطق القديم أو التفلت منه، فإن التطور الذي حققته اللغة العبرية في العصر الحاضر مرتبط بعاملين : تعلق دولة إسرائيل بتراثها الديني والأدبي، وتعصب اليهود في العالم عامة، وفي أوروبا الشرقية خاصة، وسعيهم إلى إحياء قوميتهم، واستعمال لغتهم في الأدب والصحافة والتخاطب اليومي، لكن هذين العاملين عجزا عن الاحتفاظ بفصاحة النطق القديم، حتى إن العرب الذين يتعلمون العبرية تعلما أفصح نطقا من اليهود الأوروبيين ويهود إسرائيل نفسها .

أما الخط العبري فهو وفق شجرة الأبجدية الفينيقية فرع من فروع الخط الفينيقي الأول ، غير أنه بعد أن تأثرت العبرية بالآرامية اتخذ الرسم العبري شكلا آخر، هو الحروف المربعة القائمة أو الحادة الزوايا ، وهو الخط الذي رسم به العهد القديم، والخط المطبعي العصري، ولم يطرأ عليه إلا تغير طفيف اقتضته العناية بالنطق والحرص على تمثيل أحرف المد القصيرة، وهي الفتحة والضمة والكسرة ، والضمة الممالة (0) والكسرة الممالة (e) ولهذا ذيلت الحروف المربعة بإشارات ونقاط كثيرة ، تمثل الحركات المختلفة .

ولما كان رسم الحروف المربعة يحتاج إلى أناة وجهد، فقد ثقل هذا الخط المطبعي على أيدي الناشئة ، فلانت زواياه المكسرة ، ومرنت خطوطه المستقيمة وانحنت، فظهر خط يدوي مدور الحروف قليل الحركات والنقاط سريع الأداء .

٣- اللغة الآرامية

بعد ألف سنة من هجرة القبائل الكنعانية إلى الشام والعراق من جزيرة العرب أخذت أرض الجزيرة تضيق بمن بقي فيها ، فانطلقت منها موجة أخرى . انطلقت القبائل الآرامية السامية من بيدائها تيمم شطر الشام والعراق ، ولم تكن غازية مدمرة ، بل كانت مسالمة ، تزحف زحفا بطيئة، وتسعى إلى وطن آمن تستقر فيه ، فلما قويت فرضت سلطانها على آشور وكنعان ، وقد سلكت هذه الموجة الآرامية المهاجرة طريقين ، فتحولت إلى فريقين :

أولهما اتجه نحو الشمال الغربي حتى انتهي به المطاف إلى الشام ، فزاحم الكنعانيين ، ثم زحمهم، وراحت كل قبيلة تنشئ لنفسها وطنا ودولة ، وتستعير من الكنعانيين الثقافة والأدب وتفرض عليهم لغتها .

والثاني اتجه نحو الشرق حتى بلغ العراق ، وبدأت لغته تصارع الأكادية ، وتنتزع منها معاقلها ، فلم ينتصف القرن الرابع ق.م حتى كانت الآرامية قد

طغت على جميع الألسنة في هذه المناطق، وكانت الأكادية في عداد اللغات الميتة في المحادثة .

والحق أن الآرامية طمست ثلاث لغات ، كانت سائدة في هذه البقاع لا لغة واحدة ، وقد نجم عن غزو الآراميين للبلاد الناطقة بالأكادية والفينيقية والعبرية أن تغلبت لغتهم على هذه اللغات ، مع أن الآراميين المغيرين كانوا في هذه البلاد أقلية بالنسبة لسكانها الأصليين ، ولم تقنع الآرامية من النصر بطرد اللغات القديمة من الأسواق والمزارع والشوارع، بل طردتها من ميادين الفكر ومحافل الشعر ، وأصبحت لسان الأدب والفكر لكل سكان العراق والشام وجزء من الأناضول لعدة قرون، ثم امتد نفوذ الآرامية إلى بلاد تدمر والنبط وشبه جزيرة سينا، كما يظهر ذلك من الآثار التي عثر عليها في هذه المناطق ، وقد بلغت عنفوان مجدها، ووصلت منطقتها إلى أقصى درجات اتساعها في المرحلة المحصورة بين ٣٠٠ق.م و ١٠٠ ب .م، فقد بلغت في هذه المرحلة مساحة البلاد الناطقة بالآرامية نحو 100 ألف كم مربع.

ثم أدرك الآرامية الشتات بعد الثبات ، والهرم بعد الشباب ، فتشعبت إلى مجموعتين :

أولاهما المجموعة الغربية التي انتشرت غربي نهر الفرات، وأشهر لهجاتها : الآرامية الفلسطينية التي استخدمها اليهود في ترجمتهم للعهد القديم عن العبرية

، ثم في شرح المشنا المعروف باسم الجمارا، ومن المشنا والجمارا يتألف التلمود ثاني الكتب اليهودية المقدسة بعد التوراة .

والثانية المجموعة الشرقية المنتشرة شرقي نهر الفرات، وأشهر لهجاتها : السريانية وهي لسان مدينة إدسا Edessa كما كان يسميها اليونان ، أو الرها كما كان يسميها العرب ، ونجمت شهرة هذه اللغة عن غزارة الآثار الفكرية والدينية والأدبية التي كتبت بها، ثم عن احتكاكها باليونانية ، إذ أتاح لها هذا الاحتكاك أن تقتبس كثيرا من مفرداتها ومصطلحاتها العلمية وأساليبها الأدبية، ومناهج التفكير اليوناني ، فغزرت مادتها، وغدت قادرة على تمثل العقائد والفلسفات والعلوم .

ومع أن الآرامية انقرضت تماما ، ففي العصر الحاضر بعض القرى المسيحية - وأشهرها معلولا الجبلية - لم تزل متعلقة باللهجة السريانية الغربية كتعلق بعض المناطق الجبلية في شمال العراق بالسريانية الحديثة، وكلتا اللهجتين أصابها تغير كبير أبعدها عن أصولها الأولى تحت تأثير ما انتابها من عوامل التطور الطبيعي، وكثرة المراحل التي اجتازتها في هذا السبيل، وطول عمرها، وتأثرها باللغات التي احتكت بها، وخاصة العربية والفارسية والكردية.

٤ـ اللغات اليمنية القديمة

يذكر المؤرخون أن اليمن كانت من البقاع التي نبت فيها الساميون ، وشادوا ممالك ذوات بأس وحضارة ، ثم انتشروا ونشروا حضارتهم في بلاد كنعان والحبشة، وأقدم هذه الممالك مملكة معين التي ظهرت قبل مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأربعة وعشرين قرنا ، وملكة سبأ التي ازدهرت بعد مملكة معين بأربعة عشر قرنا، وجعلت مدينة مأرب حاضرة لها، ثم مملكة حمير التي قهرت ملكة سبأ سنة ١١٠ق .م وانتزعت منها الرئاسة في السياسة، والمهارة في التجارة .

ولغات اليمن أسرة متفرعة من الفصيلة السامية ، يذكرها المؤرخون والمستشرقون بأسماء مختلفة ، فمن أجمل سماها العربية الجنوبية ، ومن فصل سماها بأسمائها الفرعية مثل الحميرية والسبئية، ولا يذهبن بك الظن إلى أنها شديدة الشبه بالعربية الفصحى لغة القرآن الكريم ، فهي تخالفها مخالفة جوهرية ، ولا يبالغ من يزعم أن السريانية والعبرية أقرب إلى العربية من اللغات اليمنية التي تمثلها النقوش، والأدلة على اختلاف عربية النقوش اليمنية عن عربية القرآن الكريم كثيرة ، أولها : أن كثيرا من عباراتها لا يزال غير واضح الدلالة ، وذلك لما تشتمل عليه من عبارات دينية مبهمة، واصطلاحات غامضة ، تتعلق بفن المعمار ، وكلمات غريبة لا نظير لها في اللغات السامية

الأخرى، ولذلك كثيرا ما يقنع الباحثون في مثل هذه العبارات باستخلاص معناها العام في صورة تقريبية ظنية على ضوء سياق الحديث .

وثانيها :ما أشار إليه أبو عمرو بن العلاء في القرن الثاني الهجري، حينما راعه البون الشاسع بين اللغتين الحجازية واليمنية ، فقال : ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا .

وثالثها :أن أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري ، وأحمد بن فارس اللغوي ، وكلاهما من علماء اللغة الأعلام - حملا على أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي اليمني لإدخاله بعض المفردات اليمنية في معجمه (جمهرة اللغة)، فرمياه باختلاق العربية ، وتهجينها بما ليس منها ، قال الأزهري : ومن ألف في عصرنا الكتب ، فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي .

ويقرر الباحثون أن اليمن لم تكن تنطق بلغة واحدة، بل شاعت فيها لغات ولهجات عديدة ، أبرزها المعينية في جنوب اليمن ، موطنها مملكة معين ، وحاضرتها(قرنا) أو(قرنانا)، ويختلف الباحثون في تقدير عمرها : فمنهم من يحدد ظهورها بالقرن الثامن قبل الميلاد، ومنهم من يعود بها إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد ، وأشهر ما اشتهرت به هذه المملكة التجارة .

والمصدر الوحيد لمعرفة هذه اللغة النقوش التي عثر عليها المنقبون في اليمن أو في الثغور التجارية القريبة من البلاد الكنعانية والآرامية .

وبعد اللهجة المعينية ظهرت اللهجة السبئية ، وهي لسان المملكة التي قوضت ملك المعينيين ، وشادت من أنقاضه حاضرتها الواسعة الشهرة وهي مدينة (مأرب)، واتسعت هذه المملكة، وطال عمرها حتى قضى عليها الأحباش سنة ٣٧٠م، ولكنهم عجزوا عن طمس اللغة السبئية.

ثم تعاقبت اللهجات اليمنية المتأخرة ، وعايشت لهجة سبأ، ولم تقو على قهرها إلا بعد انحسار الحكم الحبشي عن اليمن سنة ٤٠٠م، وبعد أن وصل الناطقون بهذه اللهجات إلى الحكم، ومن اللهجات اليمنية التي طاولت لهجة سبأ، ولم تبلغ شأنها اللهجة القتبانية، وبنو قتبان الناطقون بها كانوا ذوي مملكة كبيرة في شواطئ عدن ، حاولوا محاربة السبئيين ، فلما عجزوا عن قهرهم سالموهم ، وذوبوا لهجتهم في اللهجة السبئية .

وآخر اللهجات اليمنية اللهجة الحضرمية ، وموطنها مملكة حضرموت التي اتسعت، وقوي شأنها، وأصبحت تطاول مملكة سبأ، لكنها ضعفت، وتخلى عنها أربابها ، واستسلموا للسبئيين الذين اقتحموا على اللهجة الحضرمية حصونها، وذوبوها في لغتهم .

وجدير بالذكر أن هذه اللغات وصلت إلينا منقوشة على الحجر، وأن ما وصل إلينا منها يمثل اللهجات الفصيحة ، لا كلام السوقة، ويبدو من دراسة النقوش

أنها كانت محافظة على أنماط لا تتغير ، فلا يكاد يوجد فرق يعتد به بين اللغة المدون بها أقدم نقوشها ، واللغة المدون بها أحدثها مع أن الفاصل بين هذين النوعين قد يصل أحيانا إلى تسعة قرون ، ولا غرابة في ذلك فلغات الكتابة تميل دائما إلى المحافظة والجمود ، أما لغات المحادثة في هذه البلاد فلا بد أن يكون قد نالها كثير من التطور .

وقد عرفت كتابة اليمن في تاريخ الخط العربي باسم (الخط المسند) ، وهو شبيه بالخط الكنعاني في سيره من اليمين إلى الشمال في أغلب الأحيان، وفي أبجديته التي بلغت تسعة وعشرين حرفا ، وفي إهماله حروف المد، وتجرد هذا الرسم من حروف المد يجعل قراءة كل كلمة محتملة لعدة وجوه .

قبل ظهور الإسلام بقرنين كانت اللغة الحجازية قد ارتقت ، وأصبحت لغة الدين والأدب والتجارة ، فزاحمت لغة اليمن، وفرضت نفسها على الأسواق سواء ما كان يقام منها في الحجاز كسوق عكاظ وذي المجاز ، وما كان يقام منها في اليمن كسوقي صنعاء والشحر ، ولذلك انحسرت اللغة اليمنية عن أسواق اليمن ومراكزها الحضارية ، فلما ظهر الإسلام ازدادت هذه اللغة انحسارا وبوارا ، ولم يبق منها غير ثلاث لهجات استطاعت أن تحافظ على بقائها حتى يومنا هذا : المهرية في شرق حضرموت ، ولهجة أهل الشحر ، ولهجة جزيرة سقطرة .

٥- اللغات الحبشية السامية

يغلب على ظن المؤرخين أنه قبل مولد المسيح عليه السلام ببضعة قرون غادرت شواطئ اليمن موجة عربية ، انساحت على السواحل الغربية للبحر الأحمر، ثم قر قرارها في الحبشة، وهذه الموجة حملت معها بذور الثقافة العربية ، وبذور اللغة السامية، ومن هذه البذور نبتت اللغة الحبشية السامية ، ثم أخذت جذورها تترسخ، حتى إنك لتجدها اليوم متداولة في نصف الحبشة واريتريا، ومع أن هذه اللغة اصطدمت بلغة الأحباش الحامية، ونازلتها أمدا طويلا، وتأثرت بأصواتها الحامية ، واقترضت كثيرا من مفرداتها ، فإنها ظلت حتى العصر الحاضر محافظة على طابعها السامي الشديد القرب من لغتي اليمن والحجاز ،حتى إن الباحث المدقق يجد أن وجوه الشبه بينها وبين هذين الفرعين في أصول المفردات والقواعد والأصوات أقوى كثيرا من وجوه الشبه بينها وبين بقية اللغات السامية ، وأنها إلى اليمنية القديمة أقرب منها إلى العربية الحجازية .

وأدل ما يدلك على هذا القرب أن السامية الحبشية اشتقت من اللغة اليمنية طريقة الكتابة ، ومن الراجح أن هذا الرسم قد ظهر في القرن الثالث الميلادي ، وأنه يشبهه في تجرده من الرمز إلى أصوات المد، فكان يشتمل على ستة وعشرين حرفا ، ترمز جميعها إلى أصوات ساكنة، ولذلك أضاف الأحباش ستة رموز تعبر عن الأصوات اللينة .

وإذا كان التطور قد أدرك الخط الحبشي ليضيف إلى حروفه ما فاتها من حروف اللين، فإنه قد أدرك اللغة نفسها، فقسمها إلى لهجات ، أبرزها اللهجة الجعزية ، وهي لسان الشعب الجعزي المهاجر من اليمن، ومنشئ الدولة القوية التي حاضرها أقسوم أو أكسوم ، وأهم آثارها نقوش تعزى إلى ثلاثة من ملوكها، وهم :عزانا، وآل عميدا ، وتازانا ، ونسخة الكتاب المقدس ترجمت عن اليونانية إلى الجعزية ، و الجعزية - على ما فيها من خصائص

تشدها إلى لغتي الحجاز واليمن - تنفرد بسمات أبرزها خلوها من التذكير والتأنيث والتعريف ، واشتمالها على مفردات يونانية وحامية كثيرة، وآخر ما أوصلها إليه التطور تقلص سلطانها ، وانحسارها عن الحياة العامة ، فهي اليوم لغة أدب ودين لا لغة حياة .

وثانية اللهجات السامية الحبشية تسمى الأمهرية أو(الأمحارية) نسبة إلى القبائل التي كانت تعيش في منطقة أمهرا Amhara ومن هذه القبائل ظهرت أسرة قوية منحدرة من مملكة سبأ، كانت تعيش في منطقة كوا Choa ، وتطمح إلى السيادة على الحبشة، فبلغت ما أرادت ، وفرضت لغتها، حتى أصبحت تستخدم في أمور الدواوين والمكاتبات الرسمية في جميع الأقاليم الحبشية ، وظلت مستأثرة بهذه الشؤون حتى العصر الحاضر، ثم نافست الجعزية في ميادين الأدب والدين والصحافة والعلم، وقل بذلك أهمية اللغة الجعزية ،

وأصبحت مجهولة لدى كثير من العلماء ورجال الدين أنفسهم ، وبزغ نجم الأمهرية وغدت لغة الفكر كما كانت من قبل لغة الإدارة .

وخاضت الأمهرية صراعا آخر، صارعت فيه اللغة الحامية الكوشية بلهجاتها المختلفة، وتمكنت من اختراق الأسوار الكوشية ، وطغت على البقاع الجنوبية معقل الكوشية ، وأصبحت فيها اللغة الثانية ، غير أنها تأثرت بالأصوات الحامية ، واقتبست كثيرا من الألفاظ ، حتى غدا نصفها على الأقل مستعارا من الحاميين ، أما النصف الثاني السامي الأصل فقد بعد كثيرا عن أصله بسبب التغيرات التي طرأت عليه ، ولهذا كله اتسعت مسافة الخلاف التي تفصل الأمهرية عن بقية أخواتها السامية وعلى رأسها الجعزية .

وما زاد البون بين الأمهرية والجعزية اتساعا غلبة الصبغة المسيحية على الأمهرية ، وبقاء الجعزية محافظة على سماتها الإسلامية برغم انقسامها إلى لهجات ، ومن اللهجات الجعزية اثنتان : تسمي أولاهما باللسان التيجري، وتسمى الثانية باللسان التجرائي ، وأهالي هذين اللسانين من المسلمين ، وكان انتشار الإسلام بين أهالي هذين اللسانين سببا في مقاومتهما اللسان الأمحاري (الأمهري) المسيحي مقاومة شديدة .

ولا يجهل أحد من الباحثين مبلغ الأثر الذي تركه الدين في تطور اللغات السامية الحبشية، وفي تفرعها، والدليل على عمق هذا التأثير أن لهجة مدينة هرر المتفرعة من اللغة الأمهرية تفردت بخصائص أبعدتها عن أصلها القديم

حتى غدا الأمهريون عاجزين عن فهمها ، ويرجع ذلك إلى عاملين : أحدهما أنها تأثرت بلهجات حامية غير اللهجات الحامية التي احتكت بها الأمهرية . وثانيهما أن اعتناق أهلها للدين الإسلامي قد ترك فيها آثارا من اللغة العربية في صورة لا يوجد لها نظير في الأمهرية المسيحية.

٦- اللغة العربية

زعم ولفنسون أن العرب هم البدو المترحلون في شبه الجزيرة العربية ، وزعمه لغوي المنطلق سياسي الهدف، يرمي إلى مساواة العبريين بالعرب، إذ ادعى أن الجذر اللغوي الثلاثي للشعبين (عرب = عبر) واحد، وأن هذا الجذر يدل على التنقل والعبور، والحق أن اسم العرب يطلق على أهل المدر وأهل الوبر على السواء ، أما الآخرون فلا يدل اسمهم على غير العبور و الترحل، ومن الحجج التي تدحض رأي ولفنسون أن كلمة (عرب) في العصر الجاهلي أطلقت على أهل الخيام وأهل المدن والقرى، وأن كلمة (أعراب) خصت بالبدو ، وبذلك نزل القرآن الكريم، فسمى البداة الحفاة أعرابا، ومن الحجج الدامغة أن أبا التاريخ الأوروبي هيرودوت - وهو من مؤرخي القرن الخامس قبل الميلاد - سمي اليمن صاحبة الممالك والمدن والبلاد والأسداد (بلاد العرب) .

ومع أن العرب أقدم الساميين ، ومع أن أرضهم في المهد الأول للشعوب السامية واللغات السامية ، فإن ما بلغنا من لغتهم منقوش على حجر ، أو

محفوظة في صدر، لم يكن أقدم ما وصل إلينا من اللغات السامية ، وإن أقدم ما وصل إلينا من آثار العربية البائدة لا يتجاوز القرن الأول ق.م، وأقدم ما وصل إلينا من الآثار العربية الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد، ولذلك لا نعلم شيئا عن طفولة اللغة العربية في مراحلها الأولى .

وإذا كان بين الساميات لغة أو لغات تفوق نقوشها النقوش العربية قدما وكثرة ، فليس بينهن لغة استطاعت أن تقارب العربية بقاء ونماء، والعربية التي ينصرف إليها هذا القول هى العربية الحجازية الباقية أحدث اللهجات العربية ، وأوسع اللغات السامية انتشارا كما يدل على ذلك الواقع الجغرافي للشعوب الناطقة بها في العصر الحاضر .

تعد العربية الباقية الصورة المثلى للهجات العربية بائدها وباقيها، ولهذا فإن المؤرخين ، من أجل الوصول إلى جذور العربية الباقية ، درسوا اللهجات العربية كلها، وقسموها على أساس تاريخي إلى عربية بائدة وعربية باقية ، وعلى أساس جغرافي إلى لهجات شمالية ولهجات جنوبية ، ثم فرعوا ، فسموا كل لهجة باسم الناطقين بها، ولما تبين لهم أن اللهجات الجنوبية من معينية وسبئية وحضرمية قتبانية واهية الارتباط بالعربية الشمالية درسوها في معزل عن اللهجات الشمالية على النحو الذي قمنا به قبل، وقاموا بدراسة اللهجات الشمالية مفصولة عن الجنوبية ، لعلهم يجدون فيها جذور عربيتنا الفصحى .

وأهم هذه اللهجات :

١ -اللهجة اللحيانية : لم يختلف المؤرخون قدماؤهم والمحدثون في انتهاء اللحيانيين إلى العرب ، بل أجمعوا على أن اللهجة اللحيانية عربية بحتة، لكنهم اختلفوا في الموطن الأول الذي عاشت فيه هذه القبائل، وسواء أكان موطنهم الأول شمال الحجاز أم جنوبه ، فهم عرب أقحاح، أقاموا دويلات لهم في البقاع الممتدة من الحجاز إلى تخوم الشام والعراق ، ويغلب على ظن المؤرخين أن هذه الدويلات خضعت بعض الخضوع لدولتي الروم والفرس .

والنقوش المتحدرة إلينا من اللهجة اللحيانية تبدو حديثة العهد إذا قورنت بالنقوش الأكادية والكنعانية ، ويظهر أن أقدمها لا يتجاوز القرن الثاني أو الأول ق.م وأحدثها لا يتجاوز السادس بعد الميلاد، والخط الذي كتبت به مشتق من الخط المسند، ويسير مستعرضا من اليمين إلى الشمال ،ومع أن النقوش اللحيانية قليلة العدد، ويعوزها الوضوح والسلامة لأنها أبعاض نقوش غير متكاملة ، فإن ما سلم منها أو ما فهم يدل على عروبتها، لأنها متفردة من بين الساميات بأصوات تفردت بها العربية ، وهي (ذ، ث، غ، ض)، ولأنها تشتمل على أفعل التفضيل وحرف التنبيه ، وهذه الأمور من خصائص اللسان العربي .

٢ -اللهجة الصفوية : إذا كانت اللهجة اللحيانية منسوبة إلى قبائل لحيان ، فالصفوية تسمية اصطلاحية لا ترتبط بقبيلة ، بل أطلقها المستشرقون على نقوش ظفر بها المنقبون بين تلول الصفاة وجبل الدروز ، ثم أطلق الاسم

على اللهجة العربية التي استنبطت سماتها من هذه النقوش، وتاريخها أحدث من تاريخ النقوش اللحيانية ، إذ يعتقد الأستاذ ليمان أن الكتابات الصفوية ترجع إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد، ويستدل على ذلك باستعمال الصفويين اسم (أذينة) زوج الظباء الذي عاش في القرن الثالث بعد الميلاد، ولم يكن العرب يستعملون هذا الاسم من قبل، ومن الأدلة الساطعة على عروبة هذه اللهجة وقربها الشديد من العربية الحجازية الباقية استعمالها الألفاظ العربية الحجازية ، ومنها : أسد، وليث، ولبؤة ، وجمل، وبكر ، ومهر، وحمار ، وضأن ، *لكن* عروبتها ليست خالية من الشوائب والمؤثرات الدخيلة ، إذ نعثر فيها على شوائب نبطية وآرامية بسبب اختلاط أهلها بالأنباط والآرام .

٣ -اللهجة الثمودية : ذكر القران الكريم قوم ثمود بين الأقوام البائدة ستة وعشرين مرة ، وذكر ما حل بهم من دمار واندثار ليجعلهم عبرة لأولي الأبصار، ويبدو مما ذكره المؤرخون والمفسرون أن ثمود ظهرت ثم اندثرت قبل ظهور الإسلام بزمن طويل .

وبينما يقرر بطليموس أن مساكن ثمود هي مدينة (أمن) والأراضي الواقعة في جنوب العقبة إلى نواحي شمال ينبع بالقرب من المويلح، نرى الجغرافي بلينوس الذي سبق بطليموس بنحو(٢٠٠ سنة) يقرر أن مساكن ثمود هي في جنوب مكة إلى تهامة العسير، وكل ما نعلمه عن اللهجة الثمودية مستنبط من نقوش مكتوبة بخط مشتق من الخط المسند، تتجه كتابته من الأعلى إلى

الأسفل، ويعوزه النظام والرواء ، ويعود القدر الأكبر من نقوش ثمود إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، أي أن الثمودية أحدث من اللحيانية والصفوية .

ومن يقارن الكتابة الثمودية بغيرها من أشكال الكتابة العربية القديمة ، ثم بالكتابة العربية الحديثة يجد الخط الثمودي شبيها بغيره من خطوط العرب في العناية برسم الأحرف الساكنة ، وإهمال حروف المد، ويجد الأحرف في الكلمة الواحدة منفصلة لا متصلة، مما يدل على أن الوصل بين أحرف الكلمة الواحدة تم في مرحلة متأخرة وبعد تطور بطيء .

أما المقارنة اللغوية بين الألفاظ في النطق والاشتقاق والمعاني فمختلف فيها، فمن الباحثين من يرى أنها تدل دلالة قاطعة على أن لهجة ثمود هي لهجة عربية صحيحة، لا تختلف عن لهجة قريش الفصحى إلا في أمور يسيرة جدا، ومنهم من يلاحظ أن أصحاب النقوش الثمودية والصفوية هم من العرب ، أو هم أقوام لهم اتصال متين بلغة العرب ، ولكن العناصر الأعجمية الكثيرة البارزة فيها شوهتها وحرفتها كثيرا إلى أن محت شيئا غير قليل من الروح العربية والأسلوب العربي، حتى إن اللغة العربية تضاءلت أمام الحضارات الأخرى البارزة في تلك النقوش .

وعن مقدار التشابه بين فصحانا وهذه النقوش تنجم مسألة تبحث عن جواب ، وهي : هل يمكن أن نعد هذه النقوش مرحلة من مراحل التطور في حياة اللغة العربية الفصحى؟

إن الإجابة على نحو علمي تقتضي أن نحدد أوجه الشبه بين لغة النقوش واللغة العربية الفصيحة وأول أوجه الشبه شيوع الإعراب في لغة النقوش على نحو يقارب شيوعه في الفصحى، إذ رفع الفاعل في النقوش بواو لحقت الاسم، وهي تعادل الضمة، وجر المضاف إليه بياء، وهي تعادل الكسرة، والوجه الثاني استعمال اسم التفضيل في بعض النقوش، وصيغة التفضيل (أفعل من) تعد من الظواهر التي تفردت بها العربية بين أخواتها الساميات ، فالتفضيل في العبرية يتم بذكر الصفة المشبهة متلوة بحرف الجر ، وثالث الأوجه الأصوات التي تفردت بها العربية الفصحى، وهي (ذ، ث، غ، ض) ، فقد ترددت أصداء هذه الأصوات في لغة النقوش،و رابعها المفردات الكثيرة التي اشتركت في استعمالها النقوش والعربية الفصحى ، ومنها : ليث ، ولبؤة ، وجمل، وبكر ، ومهر، وحمار ، وضأن ، ولما كان الكلام المنقوش على الحجارة ضئيل المقدار ، فهذا القدر من الألفاظ المتشابهة يعد كافية لربط اللغتين برابطة النسب ، ولو بلغنا من النصوص مقدار أوفر لتضاعفت الألفاظ المتشابهة ،ولهذا لم ينصف شبيتالر A. Spitaler حينما هون من شأن هذه النقوش بقوله : إنه على الرغم من وجود النقوش المتعددة فإن قراءتها في كثير

من الأحوال غير مؤكدة ، ونتائجها عديمة الجدوى، لأن مادتها اللغوية على جانب كبير من الضآلة .

٤- العربية الباقية أو لهجة قريش

وسواء أكانت النقوش كثيرة أم قليلة، فما بلغنا منها يثبت أن بين لهجات النقوش البائدة ، والعربية الباقية قدر من التشابه غير قليل ، يكفي لربط المتأخرة بالمتقدمة، ولو أن معاول المنقبين كشفت في الحجاز ونجد وغيرهما عن نقوش أخرى لأمكن الوصول إلى أدلة أقوى على نفي الرابطة أو إثباتها ، وإلى أن يتم الكشف يستطيع الباحث أن يدعي أن المهد الأول للعربية الباقية نجد والحجاز ، وأنها انتشرت منهما إلى جزيرة العرب كلها ، ثم انساحت على الشمال الإفريقي، وعلى قسم كبير من شرق هذه القارة ، وإذا أعوزتنا النقوش فنصوص الأدب الجاهلي :شعره وخطبه وأمثاله وقصصه تثبت على نحو قاطع أن العربية قد اكتملت قبل ظهور الإسلام بقرنين ، وأنها فاقت كل ما جاورها من لغات سامية ولهجات عربية .

وسيادة العربية قبل الإسلام لا تعني أنها كانت لهجة واحدة ، فإن للتطور اللغوي قاعدة تكاد تكون مطردة، وتنص على أنه متي انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض ... استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا ، فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات ... ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر الحاضر،وإلى جانب هذه القاعدة، التي

تبين كيف تنقسم اللغة إلى لهجات ، قاعدة أخرى لا تقل عنها قوة واطرادا، تبين كيف تصبح اللهجة القوية سيدة اللهجات الأخرى الضعيفة ، وخلاصتها أنه متى أتيح للناطقين بإحدى اللهجات أن يغزوا غيرهم في نواحي الحياة السياسية والدينية والاقتصادية صارعت لهجتهم ما حولها من اللهجات ، ثم صرعتها ، وبسطت سلطانها على ما يجاورها ، وجميع الظروف التي كانت تقتضيها قوانين التغلب اللغوي ، كانت مهيأة لتغلب لهجة قريش على اللهجات العربية الأخرى.

إن العربية الباقية واحدة من اللغات الإنسانية التي انتشرت في مناطق واسعة من الأرض ، فظهرت فيها أعراض الانقسام إلى لهجات ، وأقوى لهجاتها لهجة قريش، فلهجة تميم، فلهجة هذيل ... وغيرها من اللهجات المستضعفة . ومع ذلك لم تتحول لهجاتها إلى لغات ، ولم يستقل بعضها عن بعض مثلما تحولت اللهجات المتفرعة عن اللاتينية إلى لغات، فما السبب الذي عصم العربية الباقية من التبدد ؟

السبب هو القاعدة الثانية التي ذكرناها، وإن كان لقريش مكانة دينية ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحرام الذي تفد إليه معظم القبائل لتقديم قرابينهم وتقديس ألهتهم، وشهود منافع لهم، أما سلطان قريش الاقتصادي فيتمثل في سيطرة القرشيين على تجارة العرب من اليمن إلى الشام والعراق، ونتيجة لهذين السلطانين برز سلطان ثالث رسخه الإسلام بعد ذلك ، وهو السلطان السياسي

الذي أعد القرشيين ليكونوا قادة العرب في الحكم، كما كانوا قادتهم في الدين والاقتصاد .

ومن يستقت قوانين التطور اللغوي تفته بأن تفوق اللهجة الحجازية كان حتما مقضيا ، لا مفر من وقوعه فإلى جانب القاعدة الثانية الموحدة قاعدة ثالثة تؤيدها، إذ تقرر أن الغلبة في الصراع اللهجي هي اللهجة المتفوقة بثقافتها وحضارتها وأدبها ومفرداتها، ولهذا غلبت لهجة قريش ما حولها من لهجات لأنها كانت أوسع اللهجات العربية ثروة، وأغزرها مادة ، وأرقها أسلوبا ، وأدناها إلى الكمال ، وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول ، ومن المقرر في قوانين علم اللغة أن اللهجة المحلية التي يتاح لها التغلب تصبح لغة الآداب ، وتصديقا لهذا القانون أصبحت لهجة قريش منذ العصر الجاهلي لغة الآداب عند جميع قبائل العرب ، فيها كان ينظم الشعر ، وتلقى الخطب ، وترسل الحكم والأمثال، وتدون الرسائل، وتتفاوض الوقود ، ويتبارى الأدباء، وتجري المناقشات في النوادي والمؤتمرات في مختلف بلاد العرب وقبائلهم ، و حينما أنست اللهجة القرشية من نفسها القدرة على البروز لم تدع ميدانا فيه للغة مجال إلا برزت فيه، ولا منتهزة إلا انتهزته ، وأفادت منه، فتضاعف ثراؤها ، إذ اقتبست من اللهجات الأخرى كثيرا من المفردات والأساليب ، حتى غدا من المتعذر ، على ضوء معلوماتنا الحاضرة أن نميز ما كان قرشي الأصل ، وما انتقل إلى لغة قريش من أخواتها .

لقد غزت قريش أسواق العرب ببضاعة غير البضاعة التي يتاجر بها الباعة ، غزتها بلغتها ، وفرضت أساليبها وثقافتها وقيمها على الأسواق كلها، ما كان يعقد منها في الحجاز ، وما كان يعقد في هجر والبحرين وعمان واليمن . واقتحمت ميادين القتال، فما ثار الغبار في يوم من أيام العرب إلا قيل فيه شعر أو رجز بلهجة قريش، ولو كان المتحاربون من غير قريش ، حتى غدا لسان الشاعر أحد شفرة من سيوف العرب ، وأبقى أثرا بعد هدأة الحروب ، يخمد مثار النقع، وتندمل نوازف الجراح ، ويبقى الشعر والرجز يرددان بلهجة قريش، فلما نزل القرآن الكريم ، وصيغ الحديث الشريف بلهجة قريش لا بسواها ازدادت إلى شرفها شرفا لم تظفر بمثله لهجة عربية أو لغة أجنبية ، فارتقت أغراضها ومعانيها وأخيلتها وأساليبها، وغدت لغة التشريع والقضاء، والقص والجدال، والبحث الدقيق العميق في مسائل العقيدة ، وفيما وراء الطبيعة، ولغة السياسة والقانون، ولغة العلم والفلسفة ، فتطورت دلالاتها من أفق الحسن إلى أفق التجريد، وظهرت فيها آلاف المصطلحات في كل علم وفن، ابتكرتها من أصولها القديمة بالاشتقاق والنحت، أو بنقل اللفظ من الحقيقة إلى المجاز .

ثم جازت ثمارها الخيرة حدود الوطن العربي ، حتى أصبحت المساحة التي تستخدم فيها العربية لغة حديث وكتابة نحو 14 مليون كم مربع ، وأصبح الناطقون بها يعدون مئات الملايين ، وراحت مفرداتها وأساليبها وخطها تنقش

أثارا غير محدودة في لغات المسلمين غير العربية، وأهم هذه اللغات الفارسية، والتركية، والأردية، حتى إن معظم مفردات الفارسية الحديثة عربي الأصل ... أما صراع العربية مع التركية والقوطية فقد ترك في هاتين اللغتين آثارا واضحة من العربية ، وقد بلغ هذا الأثر مبلغا كبيرا في بعض اللغات المستخدمة في المناطق الباكستانية والهندية الإسلامية فنحو ٧٠٪ من مفردات اللغة الأردية مثلا يتألف من كلمات عربية الأصل أو فارسيه .

رابعا : خصائص اللغات السامية ومميزاتها :

أهم ما يميز فصيلة اللغات السامية ، عن غيرها من فصائل اللغات الأخرى ، أنها تعتمد اعتمادا كبيرا على الأصوات الصامتة (Consonants) ، لا على الأصوات المتحركة (Vowels) أو بمعنى آخر : يرتبط المعنى الرئيسي للكلمة ، في ذهن الساميين ، بالأصوات الصامتة فيها ، أما الأصوات المتحركة ، فهي لا تعبر في الكلمة ، إلا عن تحوير هذا المعنى وتعديله ، ويكفي أن تنظر إلى كلمات مثل : كتب ، وكتب ، وكتب، ...إلخ؛ لتدرك أن المعنى الأصلي فيها ، مرتبط بالكاف والتاء والباء .

وفي عدد كبير جدا من الكلمات ، يحمل المعنى ثلاثة أصوات صامتة فيها ، ويدخل عليها إضافات في أولها أو وسطها ، لتحوير هذا المعنى وتعديله ؛ مثل :كاتب ، وأكتب ، والكتب ، واكتب ، واستكتب ، ومكتب ، ومكتوب ، ..إلخ .

ولهذا السبب ، يمتاز الفعل في اللغات السامية ، بسلسلة من الأوزان المزيدة ، التي تعبر عن معان مشتقة من المعنى الأساسي ، وتصاغ بتغيير الجذر تغييرات ثابتة ؛ للتعبير عن شدة الفعل أو تكراره ، وعن السببية ، وعن المطاوعة ، والمشاركة في الفعل ، والبناء للمجهول ، وغير ذلك.

هذا ، وتغلب على اللغات السامية الأصوات الحلقية ، كالعين ، والحاء ، والهاء ، والأصوات المفخمة ، كالصاد ، والطاء ، كما أنها في الصيغ الفعلية ، لا تهتم بالأزمنة الثلاثة وفروعها ، وهي : الماضي ، والحاضر والمستقبل ، بقدر ما تهتم في هذه الصيغ ، بالحدث المنتهى والحدث الذي لم ينته بعد ؛ ولذلك نجد في العربية صيغتين للفعل ، و هما : الماضي للحدث المنتهى ، والمضارع للذي لم ينته ؛ ولذلك يصلح للحال والاستقبال ، وهناك أدوات تجعله للمستقبل خالصا ؛ مثل السين ، أو سوف ، أو لن ، وأدوات أخرى تجعله للماضي ، مثل : لم .

هذا ، ولا تعرف اللغات السامية تركيب الكلمات أسماء وأفعالا ؛ وذلك مثل (describe (de + scribe) وصف في الإنجليزية ، وكذلك :

(circumstance (circum + stance) حالة في اللغة الإنجليزية ، وإن كان المضاف والمضاف إليه ، في اللغات السامية ، يرتبطان بعضهما ببعض ، ارتباطا وثيقا ، يكاد يحيلهما في بعض الأحيان كلمة واحدة ؛ ولذلك نراها في فروعها الحديثة ، توثق أحيانا بين أجزاء التراكيب الإضافية ، بحيث تصير

كلمة واحدة ؛ مثال ذلك في العربية الحديثة (ماورد) و(رسمال) وأصلهما : ماء ورد ، ورأس مال ، وغير ذلك ،ومثل ذلك في القديم قول العرب : (حبقر) للبرد = (حب + قر) .

خامسا : أهمية الدراسات السامية للعربية :

لا شك أن هناك فوائد كثيرة ، تعود على الدرس اللغوي ، من معرفة الدارس باللغات السامية ؛ فإنه فضلا عما تفيده هذه المعرفة ، بتاريخ الشعوب السامية ، وحضاراتها ، وديانـاتها ، وعاداتها ، وتقاليدها - تؤدي مقارنة هذه اللغات باللغة العربية ، إلى استنتاج أحكام لغوية ، لم نكن نصل إليها ، لو اقتصرت دراستنا على العربية فحسب ، ونفسر بهذا الأمر سر تقدم المستشرقين ، في دراستهم للغة العربية ، ووصولهم فيها إلى أحكام لم يسبقوا إليها ؛ لأنهم لا يدرسون العربية ، في داخل العربية وحدها ، بل يدرسونها في إطار اللغات السامية ، وفيما يلي بعض الأمثلة ، التي تبين لنا قيمة هذه الدراسات بالنسبة للعربية :

١- قال الله تعالى : " فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ، من بقلها وقثائها و فومها وعدسها وبصلها " وقرأ ابن مسعود : وثومها وعدسها ، وروي ذلك عن ابن عباس أيضا ، فهل أصل الكلمة في العربية بالثاء أم بالفاء ؟ إن في معرفتنا باللغات السامية الإجابة على ذلك ؛ فإن الشين العبرية ، التي

تقابل تاء في الآرامية ، تقابل ثاء في العربية ، وتلك قاعدة مطردة ، في مقارنات أصوات اللغات السامية؛ فمثلا : كلمة : (شور šōr) في العبرية ، تقابل (: تورا tawrā) في الآرامية ، وتقابل كلمة (ثور) في العربية ، وكذلك كلمة (شوم šūm) في العبرية ، هي (توما tawmā) في الآرامية ، و (ثوم) في العربية .

ومعنى هذا أن أصل هذه الكلمة في العربية بالثاء ، وأما الفاء فهى تطور عنها ، وقد جاءت كلمات كثيرة في العربية ، وقد تعاقبت فيها الثاء والفاء ، مثل : اللثام ، واللفام ، وجدث وجدف للقبر ، وحثالة وحفالة للرديء من كل شيء . وفي لهجة القطيف المعاصرة ، في شرقي الجزيرة العربية ، يبدل الناس في كلامهم ، الثاء فاء ؛ فيقولون مثلا : يوم الفلافة في : يوم الثلاثاء ، و عنب الفعلب في : عنب الثعلب ، و (الفار) في : الثأر ، وغير ذلك .

وإذا طبقنا القاعدة السابقة ، على الفعل : (ثاب) بمعنى : رجع ، نعرف أن الفعل الآخر (تاب) بمعنى : رجع عن الذنب ، ليس أصيلا في العربية ، وإنما هو مستعار *من الآرامية* ، من النصوص الدينية ، التي استعمل فيها هذا الفعل بكثرة ، في هذا المعنى الخاص ، فالفعل في العبرية (شاب šāḇ) ، والآرامية (تاب tāḇ) بمعنى : رجع ، كالفعل (ثاب) في العربية .

٢ ـ كلمة : ليس في العربية ، يعدها النحاة العرب ، فعلا جامدة لا يتصرف ، من أخوات كان ، غير أننا إذا نظرنا إلى ما يقابلها ، في اللغات السامية الأخرى ، عرفنا أنها مركبة من لا وكلمة أيس ، التي لا وجود لها الآن في اللغة العربية ، إلا في بعض التعبيرات القديمة ؛ كقول العرب : ائتنى به من حيث أيس وليس ، ومعناه : من حيث هو ولا هو ، وكذلك في قولهم : الأيس والليس ، بمعنى : الوجود والعدم، وهذه الكلمة تقابل في العبرية : يش yēš بمعنى : يوجد ، ونفيها : أل يش ʾál yēš = ليس ، وكذلك في الآشورية : إشو išu ، ونفيها : لشو laššu ، وهكذا .

٣- يرى النحويون العرب ، أن الأفعال المعتلة العين أو اللام ؛ مثل : قال وباع ، وتلا ، وقضى ، وما إلى ذلك ، أصلها : قول ، وبيع ، وتلو ، وقضى ، غير أنهم يعودون فيؤكدون أن هذا الأصل ، لم يستخدم في العربية في يوم ما ، ولكن معرفتنا بالحبشية ، من بين اللغات السامية ، تقودنا إلى الإيمان بأن هذا الأصل ، مرحلة أقدم مما وصل إلينا في العربية ؛ ففي الحبشة يقولون : بين بمعنى : تحقق ، و دين بمعنى : دان ، و تلو بمعنى : تلا ، وهكذا.

٤- واعتقادهم أن الهمزة في كلمة مثل : اطمأن أصلية ، يكذبه أن المادة في العبرية : طمن ṭāman ! ليس فيها الهمز ، والتعليل العلمي لوجود الهمز فيها في العربية ، أن الكلمة أصلها : اطمان ، على وزن : احمار واصفار ، ثم

استخدمت الكلمة في الشعر بكثرة ، فاضطر الشاعر إلى التخلص من التقاء الساكنين - على قول النحاة - بإقحام همزة ، كما قال كثير عزة :

وأنت ابن ليلى خير قومك مشهدا إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل

ه - يرى النحاة أن كلمة : اسم ثلاثية الأصل ، وأن همزة الوصل فيها ، بدل من لام الكلمة المحذوفة ، والأصل : سمو ، فيما يرى البصريون ، أو بدل من فاء الكلمة المحذوفة ، والأصل : وسم ، فيما يرى الكوفيون ، غير أن مقارنة اللغات السامية ، تدل على أن هذه الكلمة ، مع كلمات أخرى كثيرة ، مثل : يد و دم ذات أصل ثنائى ، فهذه الكلمة في العبرية : شم šēm ، وفي الآرامية : شما šmā والألف الأخيرة فيها أداة التعريف ، وفي الحبشية : سم sem ، و في الأكادية : شم šumu .

٦- بل إن دراسة اللغات السامية ، قد تفسر لنا ظواهر في العامية العربية ، كظاهرة ضياع صيغة المبني للمجهول في العامية ، وهى صيغة : فعل و يفعل ؛ إذ نابت عنها في العامية : انفعل (مثل : انكتب ، وانفهم ، وينفلق ، وينعمل ، بدلا من : كتب ، وفهم ، ويفلق ، ويعمل ، أو صيغة : اتفعل ؛ مثل : اتقتل ، واترمى ، بدلا من : قتل ، ورمى ؛ ففي اللغة العبرية توجد الصيغة الأولى ، وهي هناك على وزن : نفعل مثل : نقتل ، بمعنى : قتل ، وفي الآرامية توجد الصيغة الثانية ، وهي هناك على وزن : اتفعل مثل : اتقتل ، بمعنى : قتل،

وهناك أمثلة أخرى ، لا حصر لها ، تؤكد الفائدة التي تعود على الدراسات العربية ، من بحثها بحثا جديدا ، في ضوء اللغات السامية .

الفصل الثالث : دراسات سامية مقارنة

IPA	Latin	Name		Final	Medial	Initial	Isolated	IPA	Latin	Name		Final	Medial	Initial	Isolated
[ʈ]	ṭ	ṭā'	طاء	ـط	ـطـ	طـ	ط	[ʔ]	ʾ(a)	ʾalif	ألف	ـا	ـ	ـ	ا
[ʐ]	ẓ	ẓā'	ظاء	ـظ	ـظـ	ظـ	ظ	[b]	b	bā'	باء	ـب	ـبـ	بـ	ب
[ʔ]	ʿ	ʿayn	عين	ـع	ـعـ	عـ	ع	[t]	t	tā'	تاء	ـت	ـتـ	تـ	ت
[ʁ]	ġ	ġayn	غين	ـغ	ـغـ	غـ	غ	[θ]	ṯ	ṯā'	ثاء	ـث	ـثـ	ثـ	ث
[f]	f	fā'	فاء	ـف	ـفـ	فـ	ف	[ʤ]	ǧ	ǧīm	جيم	ـج	ـجـ	جـ	ج
[q]	q	qāf	قاف	ـق	ـقـ	قـ	ق	[ħ]	ḥ	ḥā'	حاء	ـح	ـحـ	حـ	ح
[k]	k	kāf	كاف	ـك	ـكـ	كـ	ك	[χ]	ḫ	ḫā'	خاء	ـخ	ـخـ	خـ	خ
[l]	l	lām	لام	ـل	ـلـ	لـ	ل	[d]	d	dāl	دال	ـد	ـ	ـ	د
[m]	m	mīm	ميم	ـم	ـمـ	مـ	م	[ð]	ḏ	ḏāl	ذال	ـذ	ـ	ـ	ذ
[n]	n	nūn	نون	ـن	ـنـ	نـ	ن	[r]	r	rā'	راء	ـر	ـ	ـ	ر
[h]	h	hā'	هاء	ـه	ـهـ	هـ	ه	[z]	z	zāy	زاي	ـز	ـ	ـ	ز
[w]	w	wāw	واو	ـو	ـ	ـ	و	[s]	s	sīn	سين	ـس	ـسـ	سـ	س
[j]	y	yā'	ياء	ـي	ـيـ	يـ	ي	[ʃ]	š	šīn	شين	ـش	ـشـ	شـ	ش
		hamza	همزة	ـء	ـ	ـ	ـ	[s]	ṣ	ṣād	صاد	ـص	ـصـ	صـ	ص
								[ɖ]	ḍ	ḍād	ضاد	ـض	ـضـ	ضـ	ض

اخرى ، فصارت رموزى هنا على النحو التالي : للهمزة (ʾ) وللباء (b) وللپاء (p) وللتاء (t) وللثاء (ṯ) وللجيم (ǧ) وللحاء (ḥ) وللخاء (ḫ) وللدال (d) وللذال (ḏ) وللراء (r) وللزاى (z) وللسين (s) وللسامخ في العبرية (ś) وللشين (š) وللصاد (ṣ) وللضاد (ḍ) وللطاء (ṭ) وللظاء (ẓ) وللعين (ʿ) وللغين (ġ) وللفاء (f) وللثاء (ṱ) وللقاف (q) وللكاف (k) وللام (l) وللميم (m) وللنون (n) وللهاء (h) وللواو (w) وللياء (y) وللفتحة القصيرة (a) والطويلة (ā) وللكسرة القصيرة الخالصة (i) والطويلة (ī) وللكسرة القصيرة الممالة (e) والطويلة (ē) وللضمة القصيرة الخالصة (u) والطويلة (ū) وللضمة القصيرة الممالة (o) والطويلة (ō) وللفتحة المغطوفة (ă) وللكسرة المغطوفة (ĕ) وللضمة المغطوفة (ŏ) وللمد غير الأصلي (ĕ)

السامية الأم		الأكادية	الأوغاريتية	العبرية	الآرمية	العربية	السبئية	الإثيوبية
پ	p	p	p	p	p	f	f	f
ب	b	b	b	b	b	b	b	b
م	m	m	m	m	m	m	m	m
ث	t̲	š	t̲	š	t	t̲	t̲	s
ذ	d̲	z	d̲	z	d	d̲	d̲	z
ظ	ẓ	ṣ	ẓ	ṣ	ṭ	ẓ	ẓ	ṣ
ض	ḍ	ṣ	ṣ	ṣ	ʾ	ḍ	ḍ	ḍ
ت	t	t	t	t	t	t	t	t
د	d	d	d	d	d	d	d	d
ط	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ	ṭ
ن	n	n	n	n	n	n	n	n
ل	l	l	l	l	l	l	l	l
ر	r	r	r	r	r	r	r	r
س	s	s	s	s	s	s	S^3	s
ز	z	z	z	z	z	z	z	z
ص	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ	ṣ
ś		š	š	ś	s	š	S^2	s
ش	š	š	š	š	š	s	S^1	s
ك	k	k	k	k	k	k	k	k
g		g	g	g	g	j	g	g
ق	q	q	q	q	q	q	q	q
خ	h̲	h̲	h̲	ḥ	ḥ	h̲	h̲	h̲
غ	ġ	ġ	ʾ	ʾ	ʾ	ġ	ġ	ʾ
ح	ḥ	ʾ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ	ḥ
ع	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ
هـ	h	ʾ	h	h	h	h	h	h
ء	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ	ʾ

١ ـ الأصوات في اللغات السامية دراسة مقارنة

١ -الأصوات الشفوية :

يبدو أن مخرج الشفة ، كان ينطق فيه صوتان اثنـان لا غير فـي السامية الأم ، وكلاهمـا انفجـارى ، غير أن أحدهما مجهور (b) والآخر مهموس (p) ،أمـا الأول فقد بقي كما هو في اللغات السامية كلها ؛ فمثلا בֶּרֶךְ bērek̲ في العبريـة = ܒܘܪܟܐ burkā في الآراميـة = ብርክ berk في الحبشية = burku في الأكادية = ركبة في العربية ، مـع القلـب المكـاني فـي الأخيرة ، بدليل بقاء الأصل في الفعل : برك كذلك .

ومثل ذلك أيضا كلب ، في العربية = ከልብ kalb في الحبشية =

kalbu في الأكادية ܟܠܒ kleb̲ في الآرامية = כֶּלֶב kēleb̲ في العبرية ، وتحول الباء إلى صوت احتكاكى(b̲ = ڤ) في اللغتين الأخيـرتين ، مسألة خاصة بالسياق الصـوتي فيهمـا ؛ فـإن هذا الصـوت مـع خمسـة أخـرى ، يطلـق عليها أصوات : بجد كپت ، الأصل فيها أن تكون انفجارية ، إلا إذا جاءت بعد حركـة ، فإنهـا فـي هذه الحالـة تتحـول إلـى أصـوات احتكاكيـة ، دون أن يتـأثر المعنـي بـذلك ؛ فمـثلا حين يـراد الإتيـان بالصـيغة المعرفـة مـن :

ܟܠܶܒ kleb السابقة في الآرامية : يقال ܟܰܠܒܳܐ kalbā فتنطق الباء فيها باء ؛ لأنها ليست بعد حركة .

أما الصوت الثاني ، وهو صوت الباء المهموسة (p) فقد بقي كما هو في السامية الشمالية (العبرية والآرامية والأكادية) وتحول إلى صوت احتكاكى مهموس هو (ف) في السامية الجنوبية ؛ مثال ذلك : كلمة פּוֹל pōl في العبرية (صمويل الثاني ١٧ / ٢٨ وعزرا ٩/٤) = فول في العربية ، وكذلك ፋል fāl في الحبشية .

ومثال ذلك أيضا פֶּה pē في العبرية = ܦܽܘܡܳܐ pūmā في الآرامية = pū في الأكادية = فو في العربية (إلى جوار فم بالتمييم الذي نسي أصله ، فعد أصلا من أصول الكلمة ، فأضيف إليها التنوين الذي يقابل التمييم ، وفتحت الفاء قياسا على بعض أسماء أعضاء الجسم الإنساني ، مثل : يد وعين ورأس وغيرها) = አፍ ʾaf في الحبشية .

ومثال ذلك أيضا פָּלַג pālaġ في العبرية = ܦܠܓ plaġ في الآرامية

(بمعنى : " شق " فيهما) = palgu في الأكادية " قنال " = ፈለገ

falag في الحبشية " جدول " = " فلج " و " فلج " بمعنى : " شق " في العربية .

وتحول هذه الپاء (p) المهموسة في العبرية والآرامية إلى فاء ، رهن بوقوعها في الكلمة بعد حركة ، تماما كما يحدث للباء المجهورة (b) ؛ فمثلا : كلمة فتح في العربية ، تقابل في العبرية פָּתַח pātaḥ كما تقابل في الآرامية ܦܬܚ pṯaḥ ، غير أن المضارع من هذا الفعل في اللغة

العبرية هو יִפְתַּח yiftaḥ وفي الآرامية ܢܶܦܬܰܚ neftaḥ ، فلم تنطق "الپاء" فيهما : فاء إلا لوقوعها هنا بعد حركة ، أي أنها تخضع لقانون السياق الصوتي في هاتين اللغتين ، كما عرفنا من قبل .

٢ -أصوات الصفير والأصوات الأسنانية :

الجدول التالي يبين حالة هذه الأصوات في اللغات السامية :

اللغات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
السامية الأم	t	d	ṭ	s	z	ṣ	ṯ	ḏ	ẓ	ś	š	ḍ
العربية	t	d	ṭ	s	z	ṣ	ṯ	ḏ	ẓ	š	s	ḍ
الحبشية	t	d	ṭ	s	z	ṣ	s	z	ṣ	š	s	ḍ
العبرية	t	d	ṭ	s	z	ṣ	š	z	ṣ	ś	š	ṣ
الآرامية	t	d	ṭ	s	z	ṣ	t	d	ṭ	s	š	ʿ
الأكادية	t	d	ṭ	s	z	ṣ	š	z	ṣ	š	š	ṣ

وفيما يلي أمثلة لكل صوت منها:

١-التاء : في العربية تسع والحبشية ተስዐ tesʿū والعبرية תֵּשַׁע tēšaʿ

والآرامية ܬܫܥ tšaʿ والأكادية tišit .

٢- الدال : في العربية دم والحبشية ደም dam والعبرية דָּם dām

والآرامية ܕܡܐ dmā والأكادية dāmu .

٣ -الطاء : في العربية طعم والحبشية ṭeʿema ጥዕመ والعبرية טַעַם

ṭāʿam والآرامية ܛܥܡ ṭʿem والأكادية ṭēmu (فَهْم) .

٤- السامخ : في العربية أسر والحبشية ʾasara አሰረ والعبرية אָסַר

ʾāsar والآرامية ܐܣܪ ʾesar والأكادية esēru = ربط .

ه -الزاي : في العربية زرع والحبشية zarʿa ዘርዐ وهناك كلمة أخرى في الحبشية هي ዘርአ zarʾa أكثر شيوعا من الكلمة السابقة ، ويعلل بروكلمان لوجود الهمزة هنا بأن الكلمة منحوتة من كلمة zarʿa السابقة ، وكلمة zaraʾa التي تساوي في العربية (ذرأ = نثر) والعبرية זֶרַע zēraʿ والآرامية ܙܪܥܐ zarʿā والأكادية zēru .

٦ -الصاد : في العربية إصبع والحبشية አጽባዕት ʾaṣbāʿt والعبرية אֶצְבַּע ʾeṣbaʿ والآرامية ܐܨܒܥܐ ʾeṣbʿā والأكادية ṣūbu .

٧ - الثاء : في العربية ثور والحبشية ሰር sōr والعبرية שׁוֹר šōr والآرامية ܬܘܪܐ tawrā والأكادية šūru .

٨ - الذال : في العربية ذكر والحبشية ዘከረ zakara والعبرية zākar

זָכַר والآرامية ܕܟܰܪ dkar والأكادية zakāru .

٩ - الظاء : في العربية ظل والحبشية ጸላሎት ṣelālōt والعبرية

צֵל ṣēl والآرامية ܛܶܠܳܠܳܐ ṭellālā والأكادية ṣillu .

١٠ - الشين : في العربية شيب والحبشية ሢበ šēba والعبرية שֵׂיב

śēḇ والآرامية ܣܳܒܳܐ sāḇā والأكادية šību .

١١ - السين : في العربية سن والحبشية ስን senn والعبرية שֵׁן

šēn والآرامية ܫܶܢܳܐ šennā والأكادية šinnu .

١٢ - الضاد : في العربية ضرة ، والحبشية ፀር ḍar والعبرية צָרָה

ṣārā والآرامية ܥܰܪܬܳܐ ʿarrtā والأكادية ṣarru (عدو) ṣirritu

(ضرة) .

ملاحظات :

يتضح من الجدول السابق أن كلا من التاء والدال والطاء والسين (السامخ) والزاي والصاد ، لم يصبها تغيير مطلقا ، في أية لغة من اللغات السامية ، حقا قد نشأت تاء جديدة في الآرامية من الثاء ، كما نشأت دال جديدة في الآرامية من الذال ، وكما نشأت طاء جديدة في الآرامية أيضا من الظاء ، وكذلك نشأت صاد جديدة في الحبشية من الظاء ، وفي العبرية من الظاء والضاد ، وكذلك في الأكادية ، كما نشأت سين جديدة من الشين في كل من العربية والحبشية ، ومن ال (ś) في الآرامية ، ومن الثاء في الحبشية ، وأخيرا نشأت زاى أخرى جديدة من الذال ، في كل من الحبشية والعبرية والأكادية .

كما يرى علماء الساميات أنه كان يوجد في السامية الأم إلى جانب السين والشين ، نطق ثالث بين السين والشين ، يشبه نطق الألمان لكلمة ich بمعنى : أنا ، وهذا النطق هذا ما نرمز إليه هنا بالرمز (ś) ، والذي دعاهم إلى هذا التفكير ، هو أنهم وجدوا في الخط العبري ، والخط العربي الجنوبي ، رمزين لنطق السين هما في العبرية: ס (سامخ סָמֶךְ) و שׂ (سين שִׂין)

وفي العربية الجنوبية   (لما يقابل السامخ) و   (لما يقابل السين) ، ولما كان من المستبعد أن يجعل واضع الخط رمزين مختلفين لنطق واحد ،

ولما كان نطق ما يدل عليه في العبرية بالسامخ ، متحدا في جميع اللغات السامية ، ونطق ما يدل عليه بالرمز الآخر مختلفا - استنبط العلماء من ذلك ، أن نطق هذا الحرف الأخير ، لم يكن في السامية الأم سينا ، بل كان نطقا وسطا بين السين والشين ، وقد احتفظ بهذا النطق كل من العبرية القديمة ، والعربية الجنوبية لا غير ، وتطور إلى الشين في العربية الشمالية والحبشية والأكادية ، وإلى السين في الآرامية والعبرية في عصورها المتأخرة .

أما الشين السامية القديمة ، فقد بقيت كما هي السامية الشمالية (العبرية والآرامية والأكادية)، أما السامية الجنوبية (العربية والحبشية) ، فقد تحولت الشين فيها إلى سين ، وقد نشأت شين جديدة من الثاء في كل من العبرية والأكادية .

وقد تحدث برجشتراسر عن صوت السين والشين ؛ فقال : وأما السين والشين ، فكانتا في الأصل ثلاثة أحرف : سينا وشينا ، وثالثا لا نعرف نطقه الأصلي تماما ، وربما كان شينا جنبية ، مخرجها من حافة اللسان ، أو شجرية ، أما الجنبية فتوجد في بعض اللهجات اليمانية الدارجة كالمهرية ، أما الشجرية فتشبه حرفich في اللغة الألمانية.

والنسبة بين هذه الأحرف الثلاثة الأصلية ، وبين الحرفين المذكورين في العربية ، غريبة جدا ؛ فإنا نجد السين بقى نطقها على ما كان عليه ... والشين الأصلية صارت سينا عربية .

وأما الحرف الثالث ، وهو الشين الجنبية أو الشجرية ، وعلامتها (ś) فصارت شينا ؛ مثاله كلمة : عشر ، التي هي ʿēśer في العبرية ... وأما في الأكادية ، فصار هذا الحرف شينا مثلما صار في العربية ، فعشر فيها : ʿešru ، وفي الآرامية ، صار أخيرا سينا ، بعد ما كان في أول الأمر كالحرف العبري نطقا ... فالسين العربية ، نشأت من حرفين : السين السامية الأصلية في بعض الكلمات ، والشين في بعضها ، والشين العربية نشأت من الشين الجنبية أو الشجرية .

هذا ، ولم تبق أصوات ما بين الأسنان الثلاثة : الثاء والذال والظاء (وهي التي تتطلب إخراج اللسان بين الأسنان) إلا في العربية الشمالية والجنوبية :

[ت × ث د ذ ط ظ]

وتطورت في سائر للغات الأخرى .

ونظرية السهولة والتيسير ، واختصار الجهد العضلي ، هي التي تفترض أصالة هذه الأصوات الثلاثة في السامية الأولى ؛ لأن تعليل تطورها إلى غيرها ، أسهل من تعليل تطورها من غيرها ، وأمامنا اللهجات العربية الحديثة ، تطورت فيها هذه الأصوات ، إلى أصوات خلف الأسنان ، كما حدث في اللغات السامية الأخرى تماما .

حقا يوجد في العبرية والآرامية نطق الثاء والذال ، غير أن ذلك فيهما فرع لفونيمى التاء والدال ، في ظروف صوتية معينة ، وهي أن يقع واحد منهما بعد حركة في مقطعه ؛ فاختلاف النطق هنا لا يترتب عليه اختلاف المعنى ، وهذا التطور حادث متأخر في العبرية والآرامية ؛ إذ تخضع أصوات (بجد كفت) فيهما للسياق الصوتي ، فهي انفجارية (كما هو الأصل فيها) إذا وقعت في أول الكلمة أو بعد سكون تام ، فإذا وقعت بعد حركة تحولت إلى نطق احتكاكى: ق غ ذ خ ف ث .

وفي أقدم نقوش اللغة الآرامية ، التي وجدت في : تل زنجيرلى و نيراب ، يبدو أن الأصوات السامية القديمة : الثاء والذال والظاء ، قد تحولت كما في العبرية إلى : الشين والزاي والصاد ، ويرجح بروكلمان أن تلك الأصوات لم تكن قد تحولت في الواقع ، وأنها كانت لا تزال تحتفظ حينذاك بالنطق الأصلي

، غير أن الآراميين عندما أخذوا الأبجدية الفينيقية ، رمزوا للأصوات التي توجد في لغتهم ولا توجد في الفينيقية ، بأقرب رموز الفينيقية إليها .

ونذكر أخيرا أن صوت الضاد ، تحول في أقدم النقوش الآرامية إلى صوت القاف (مثل كلمة: מַוְקָא mawḳāʾ = شروق ، وهي تقابل موضأ في العربية) في نقش تل زنجيرلي ، وكذلك الأصل רקי rḳy = رضى ، وكلمة אַרְקָא ʾarḳā بمعنى : أرض في هذا النقش كذلك ، ثم تحولت القاف إلى غين ، كما تتحول في العربية العامية السودانية وبعض قرى جنوبي العراق ، إلى هذا الصوت - ثم تحولت هذه الغين ، كما تحولت الغين الأصلية إلى عين ؛ مثل ܐܪܥܐ = ʾarʿā أرض ؛ ومثل ܐܠܥܐ ʾelʿā = ضلع ، مع مخالفة العين إلى همزة في هذا المثال الأخير .

٣ -صوت الجيم :

تشير مقارنة اللغات السامية كلها إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت ، كان بغير تعطيش، كالجيم القاهرية تماما ؛ فكلمة : جمل في العربية الفصحى مثلا ،

هـي فـي اللغـة العبريـة : גָּמָל gāmāl وفـي الآراميـة : ܓܡܠܐ gamlā وفي الحبشية : ገመል gamal .

أما العربية الفصحى ، فقد تحول فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار ، أي من أقصى الحنك إلى وسطه ، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج ، يبدأ بدال من الغار ، ثم ينتهى بشين مجهورة ، غير أن ذلك لم يحدث في البداية في كل جيم ، وإنما كان يقتصر على الجيم المكسورة ، تبعا لقانون الأصوات الحنكية ، ثم عمم القياس هذا النطق الجديد في كل جيم ، طردا للباب على وتيرة واحدة .

وقد حدث ذلك في العربية القديمة ، في العصور السابقة لظهور الإسلام ، وصار هو النطق المميز للفصحى ؛ ولذلك جاء به القرآن الكريم ، وبقى النطق البائد في بعض اللهجات العربية القديمة ، وامتداداتها في بعض اللهجات الحديثة .

٤ـ الكاف والقاف :

هذان الصوتان من أصوات أقصى الحنك واللهاة ، قد بقيا على الأصل فيهما في جميع اللغات السامية .

فمن أمثلة الكاف : في العربية » : كنف = في العبرية כָּנָף kānāf = في الآرامية ܟܶܢܦܳܐ kenpā = في الحبشية ክንፍ kanf = في الأكادية kappu : بمعنى (جناح) في الجميع .

أما القاف ، فإن مقارنة اللغات السامية ، تدل على أنه صوت شديد مهموس ، ينطق برفع مؤخرة اللسان ، والتصاقها باللهاة ، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ، ثم يزول هذا السد فجأة ، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية ؛ ففي العبرية مثلا: קוֹל ḳōl وفي الآرامية: ܩܳܠܳܐ ḳālā وفي الحبشية: ቃል ḳāl بمعنى : صوت في الجميع ، وهو يقابل في العربية : قول وفي الآشورية ḳūlu بمعنى : صراخ .

وقد عد قدماء اللغويين العرب القاف من الأصوات المجهورة ؛ فإن صدق وصفهم هذا ، كان ذلك النطق من التغيرات التاريخية في العربية القديمة ، وقد بقي هذا النطق المجهور ، في أغلب البوادي العربية في الوقت الحاضر .

ه - أصوات الحلق :

نطلق هذه التسمية هنا على : الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء ، وهي تسمية اللغويين العرب القدامى ، وإن كانوا يخصون الهمزة والهاء بأقصى الحلق ، والعين والحاء بأوسطه ، والغين والخاء بأدناه .

غير أن الدراسات الصوتية الحديثة ، أثبتت أن الهمزة والهاء يخرجان من الحنجرة ، والغين والخاء من الطبق (وهو سقف الحنك الرخو) ، وأن الذي يخرج من الحلق هو العين والحاء لا غير .

أما الهمزة في العربية ، فلم تكن اللهجات العربية القديمة على سواء في نطقها ؛ إذ كانت البيئة البدوية (تميم وما جاورها) هي وحدها التي تحقق نطق الهمزة ، أما البيئة الحجازية (قريش وما جاورها) فكانت تسهل الهمزة ، أي تترك نطقها في غير أول الكلمة ، وقد أخذت العربية الفصحى تحقيق الهمزة من تميم .

قال أبو زيد الأنصاري : أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة ، لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا ، وقال أبو عمر الهذلي : قد توضيت ، فلم يهمز وحولها ياء ، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز .

و النبر في الكلام السابق هو: الهمز ، قال ابن منظور : والنبر همز الحرف ، ولم تكن قريش تهمز في كلامها ، ولما حج المهدى قدم الكسائي يصلى بالمدينة ، فهمز ، فأنكر أهل المدينة عليه ، وقالوا : تنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ؟ !

وما حدث للهمزة في اللهجة الحجازية العربية ، حدث مثله تماما في اللغتين : العبرية والآرامية ؛ إذ تسقط فيهما الهمزة في غير أول الكلمة في أغلب الأحيان ؛ فإذا كانت الهمزة تنطق في العبرية في مثل אָכַל ʾākal أكل

אָסַר ʾāsar أسر / ربط، وفي الآرامية في مثل: ܐܢܐ ʾenā

أنا ܐܪܒܥܐ ʾarbʿā أربعة ؛ ففي كثير من كلمات هاتين اللغتين ، نرى الهمزة لا تنطق في وسط الكلمة أو في آخرها ، رغم وجود رمزها في الكتابة ؛ مثال ذلك في العبرية: ראשׁ rōš رأس בָּרָא bārā برأ / خلق ، وفي الآرامية ܒܐܪܐ bīrā بئر ܚܛܐ ḥṭā أخطأ ، ومع ذلك نجد الهمزة تنطق في وسط الكلمة في هاتين اللغتين أحيانا ؛ مثال ذلك في العبرية שָׁאַל šāʾal سأل ، وفي الآرامية ܩܐܡ kāʾem قائم .

أما الحبشية ، فإن الهمزة لا تسقط فيها في أول الكلمة أو في وسطها

أو في آخرها ؛ مثل ذلك: አነ ʾana أنا malāʾekt መላእክት

ملائكة ንሥእ našʾa رفع ، غير أن الهمزة تؤثر في الحبشية في إطالة الفتحة القصيرة قبلها في نفس المقطع ؛ فيقال مثلا : ማእከል māʾkala في وسط ، غير أن بروكلمان يرى أن إطالة الحركة هنا دليل على سقوط الهمزة ، وإن كانت ثابتة في الخط .

أما اللغة الأكادية ، فيزعم المستشرقون أنه لم يبق فيها من حروف الحلق إلا الهمزة والخاء ، أما الأربعة الباقية وهي العين والحاء والغين والهاء ، فقد تحولت - فيما يقولون - إلى همزة ... أي هذه الأصوات الأربعة ، لم تكن موجودة في نطق الشعب الأكادى ، وهو أمر يشك فيه المرء كثيرا ؛ لأنه يبعد عندنا أن تنسى أقوام سامية نطقها لأصوات الحلق ، وهي أقوام غازية غالبة في منطقة بلاد الرافدين .

وأغلب الظن أن الأكاديين حينما استعملوا لكتابة لغتهم السامية الخط السومري ، الذي كان موجودا في المنطقة التي استعمروها في بلاد الرافدين ، لم يجدوا رموزا في هذا الخط لتلك الأصوات الأربعة ، فاستخدموا أقرب الرموز دلالة ، للتعبير عن نطق هذه الأصوات ، تماما كما لو تصورنا أن جماعة من البدو

العرب لا يكتبون ولا يقرءون ، استعمروا جزءا من انجلترا ، ووجدوا أمامهم الخط اللاتيني ، واستخدموه لكتابة لغتهم العربية ، فإنه مما لاشك فيه ، أنهم سيستعيضون بالرمز (A) مثلا عن رمز صوت العين ، وبالرمز (H) عن الحاء والخاء ، في الكتابة فقط ، غير أنهم لن ينسوا نطقهم لهذه الأصوات الأصيلة في لغتهم .

وأما الهاء : فإنها موجودة في اللغات كلها ، ماعدا الأكادية إذ نابت عنها الهمزة ، كما عرفنا ؛ مثال ذلك في العربية : هلك ، وفي العبرية : הָלַךְ hālaḵ وفي الأكادية : ʾalāku ومثله أيضا في العربية : مهر ، وفي العبرية : מֹהַר mōhar وفي الآرامية : ; mahra وفي الأكادية tamartu ، ومثله كذلك في العربية : هلال وفي الحبشية: ሄላል helāl وفي الأكادية : ʾelēlu بمعنى : لمع /أشرق .

وأما العين ، فإنها موجودة في اللغات السامية كلها ماعدا الأكادية كذلك ؛ إذ نابت عنها الهمزة أيضا ؛ مثال ذلك في العربية : عقرب وفي العبرية :

עַקְרָב ʿakrāḇ وفي الآرامية : ܥܶܩܰܪܒܳܐ ʿekḳarbā وفي

الحبشية : ዐቅራብ ʿakrāb وفي الأكادية : ʾakrabu .

وأما الحاء : فإنها بقيت كذلك في جميع اللغات السامية ماعدا الأكادية ؛ إذ نابت عنها الهمزة أيضا ؛ فكلمة حدث في العربية مثلا ، يقابلها في العبرية :

חָדָשׁ ḥādaš وفي الآرامية : ܚܕܰܬ ḥdat وفي الحبشية :

ሐዲስ ḥadasa وفي الأكادية : ʾedešu بمعنى جديد .

وأما الغين : فإنها لم تبق إلا في العربية ، وتحولت إلى عين في العبرية والآرامية والحبشية ، كما تقابل الهمزة في الأكادية ؛ مثال ذلك كلمة : غرب في العربية ، تقابل في العبرية : עָרַב ʿārab وفي الآرامية :

ܥܪܶܒ ʿreb وفي الحبشية : ዐረበ ʿarba وفي الأكادية

ʾerebu .

وأما الخاء ، فإنها لم تبق إلا في العربية والحبشية والأكادية ، وتحولت إلى حاء في العبرية والآرامية ، فمثلا كلمة : خبط في العربية ، تقابل في

العبرية : חָבַט ḥābaṭ وفي الآرامية : ܚܒܰܛ ḥbaṭ وفي

الحبشية: ሀበፈ hafata وفي الأكادية : habātu بمعنى : سلب / نهب في اللغة الأخيرة .

٦- الأصوات المائعة :

يقصد بالأصوات المائعة : liquid اللام والميم والنون والراء ، وهي التي يسميها علماء العربية بالأصوات المتوسطة، وقد بقيت هذه الأصوات في اللغات السامية كلها .

فمثال اللام : كلمة : لب ، في العربية ، يقابلها في العبرية : לֵב lēb

وفي الآرامية : ܠܒܐ lebbā وفي الحبشية : ልብ leb وفي الأكادية : libbu .

ومثال الميم : كلمة ملأ في العربية ، يقابلها في العبرية : מָלֵא mālē

وفي الآرامية : ܡܠܐ mlā وفي الحبشية : ምልአ malʼa وفي الأكادية : malū .

ومثال النون : كلمة نفخ في العربية ، يقابلها في العبرية : נָפַח nāfaḥ

وفي الآرامية : ܢܦܚ nfaḥ وفي الحبشية : ነፋኀ nafḫa : وفي

الأكادية : napāḫu .

ومثال الراء : كلمة : رأس في العربية ، يقابلها في العبرية ראֹשׁ rōš

وفي الآرامية : ܪܺܫܳܐ rīšā وفي الحبشية : ርእስ re'sوفي

الأكادية : rēšu .

هذه هي حالة الأصوات المائعة في اللغات السامية ، غير أن اللغة العربية ، قد تحولت فيها الميم التي تقع في الطرف أصلا ، إلى نون ، إلا إذا أريد الاحتفاظ بها ، طردا للباب على وتيرة واحدة ؛ مثل الأمر : قم من : قام ، أو لم تصر متطرفة إلا بعد سقوط الحركة الأخيرة من الكلمة ، مثل الضمير هُمْ ، وأصله هُمُ .

ومن أمثلة انقلاب الميم نونا : كلمة إن ، فهي في العبرية : אִם 'im

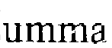

وفي الحبشية : እመ ʾema وفي الأكادية : šumma ، ومن أمثلة ذلك أيضا : التمييم الذي يوجد في الأكادية ، في مثل: kalbum وهو يقابل : التنوين في العربية ، في نحو : كلب .

ولهذه العلاقة الصوتية بين الميم والنون ، يتوالى هذان الصوتان ، في السجع والفاصلة ، في اللغة العربية ، دون أن يختل النغم ؛ ففي القرآن الكريم مثلا ، يقول الله تعالى " ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجرا غير ممنون ، وإنك لعلى خلق عظيم " صدق الله العظيم .

وفي الشعر العربي أمثلة قليلة لذلك ؛ كقول الراجز :

والله ما فضلي على الجيران إلا على الأخوال والأعمام

ولعل هذه العلاقة هي التي تفسر لنا ورود بعض الكلمات في العربية القديمة ، بروايتين إحداهما بالميم في آخرها ، والأخرى بالنون ؛ كالغيم والغين ، والآجم والآجن (للمتغير) والقاتم و القاتن (للأسود) وغير ذلك .

٧ - الواو والياء :

في العبرية والآرامية تتحول الواو في أول الكلمة إلى ياء ، فمثلا : الكلمة الحبشية : ወርኅ warḫ التي تقابل في العربية : أرخ / ورخ ، هي في

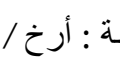

العبريـة : יֵרַח yēraḥ وفـي الآراميـة : ܝܰܪܚܳܐ yarḥā وفـي

الآشورية القديمة : warḫu .

٢ـ الضمائر الشخصية المنفصلة

الضمائر	العربية	الحبشية	العبرية	الآرامية	السريانية	الآشورية
المتكلم	ʾanā	ʾana	ʾānōkī	ʾănā	ʾenā	ʾanāku
المخاطب	ʾanta	ʾanta	ʾattā	ʾanta	ʾatt	ʾatta
المخاطبة	ʾanti	ʾanti	(ʾatti)ʾatt	ʾatt	ʾatt	ʾatti
الغائب	huwa	weʾetu	hū	hū	hū	šū
الغائبة	hiya	yeʾetī	hī	hī	hī	šī
المتكلمون	naḥnu	neḥna	naḥnū ʾănaḥnū	ʾănaḥnā	ʾenaḥnan ḥnan	nīnū anīnū
المخاطبون	ʾantum(ū)	ʾantémmu	ʾattém	ʾantūn	ʾattōn	attunu
المخاطبات	ʾantunna	ʾantén	ʾattēn(ā)	ʾantēn	ʾattēn	attina
الغائبون	hum(ū)	ʾemūntū weʾetōmu	hémma hēm	himmō(n)	hennōn	šun(u)
الغائبات	hunna	ʾemāntū weʾetōn.	hēn(nā)	hennēn	hennēn	šina

ملاحظات :

ليس من الضمائر أصلا ، إلا ضمير التكلم والخطاب ، أما ضمير الغيبة فهو في الأصل اسم من أسماء الإشارة ، ولكنه دخل في علاقات إعرابية معينة مع ضميرى التكلم والخطاب ومع ذلك فهو لا يزال يحتفظ بوظيفته الأصلية كذلك .

وضميرا التكلم والخطاب في المفرد ، مركبان في السامية الأولى من a’ : وكذلك : ta , tī ، التي لا تزال تقابلنا وحدها في الفعل - ومن : ʾan و بذلك تصبح : ʾanā < *ʾanʾa: ، والحركة الأخيرة قصيرة في معظم الأحوال ، في وزن الشعر العربي ، وفي الأشورية تؤكد (ʾana) بالضمير (kū) ، الذي يقابلنا وحده في الفعل مرة أخرى ، وفي العبرية قيست حركة (ū) في المتكلم المفرد ، على حركة ضمير النصب المتصل فصارت لذلك (ī) ، أما بناء ضمير التكلم الجمع ، فهو غامض ، وأقدم صيغه توجد في العربية والعبرية ، وفي العبرية والآرامية والأشورية ، يزاد عليه في الأول (a) قياسا على المفرد ، وفي الحبشية والآرامية والأشورية ، جعلت حركته الأخيرة ، مناسبة لحركة ضير النصب

المتصل ، والصيغة الأصلية لضمير الخطاب الجمع، هي : ’antumū

ومؤنثه ’antinnā : ، ويمكن أن تكون الصيغ الحبشية (u=o , i) مشتقة منها مباشرة ، وقد جعلت الحركات فيها واحدة ، في العربية والعبرية ، أما في العربية فقد تبع المؤنث المذكر ، وأما العبرية فقد حدث فيها العكس ، وقد بقيت الحركات في كل من الآرامية والآشورية ، غير أن(نون) صيغة المؤنث ، قد انتقلت إلى المذكر كذلك.

ولا يوجد التوزيع الأصلي للأصوات ، في ضمير الغيبة ، إلا في اللهجة المهرية من

لهجات جنوب الجزيرة العربية : المذكر (he) ، وجمعه (hun) ، والمؤنث (se) وجمعه (sen) وفي الآشورية ، تبع المذكر المؤنث في الصوت الأول، كما حدث العكس في اللغات الأخرى ، وفي الحبشية والفينيقية ، أكد الضمير بأحد عناصر الإشارة ، وهو (التاء) ، ولقد اختفت (الهاء) في الحبشية ، وتبادلت الحركة مع الواو والياء في (uw) و (iy) الوظيفة ، ثم صارت (we<wu) كما صارت (ye <yi) ، وقد حدث في الأصوات الصامتة والحركات ، في الجمع هنا ، ما سبق أن حدث مثله في ضمير الخطاب ، غير ان ميم المذكر قد انتقلت في الحبشية إلى المؤنث كذلك،

واستحدثت الحبشية ، إلى جانب الصيغة القديمة، بناء حديثا مشتقة من المفرد ، على مثال ضمير النصب المتصل ، ولا يوجد إلا في العربية ، ضمير للمثنى المخاطب والغائب و مشتق من جمع المذكر : أنتما و هما .

٣ـ الضمائر الشخصية المتصلة

الضمائر	العربية	الحبشية	العبرية	الآرامية	الأشورية مع الاسم	الأشورية مع الفعل
المتكلم	ya ; ī مع الفعل nī	ya مع الفعل nī	ī مع الفعل nī	ī مع الفعل nī :	ya	nī
المخاطب	ka	ka	kâ	k	ka ; ku	ka ; ku
المخاطبة	ki	kī	k(ī)	k	ki	ki
الغائب	hu	hū ; ū ; ō	hū, w ; ō	w ; hī ; eh	šu ; š	šu ; š
الغائبة	hā	hā ; ā	hā ; h	h	ša	ši ; š
المتكلمون	nā	na	nū	na ; n	nī ; nū	nāši nāšū
المخاطبون	kum (ū)	kemmū	kém	kōm kōn: سرياني	kun (u)	kunūšu kunūši
المخاطبات	kunna	ken	kén	kēn	kina	kināši
الغائبون	hum (ū)	ōmū hōmū	hém m;mō	hōm hōn: سرياني	šunū šun šunūti	šunu ; šunūti šunūtu šunūši
الغائبات	hunna	ōn hōn	hén;n	hēn	šin (a)	šinā (ti) šinātu šināši

ملاحظات :

يبدو أنه قد نشأت في السامية الأولى ، إلى جانب الصيغة الأصلية للمتكلم ، صيغة أخرى هي (ī) ؛ بسبب نوع آخر من النبر ، ومن هذه الصيغة نشأت صيغة الضمير المتصل بالفعل (nī) بزيادة النون ؛ منعا لما يسمى : Hiatus ، وهو التقاء حركتين ، و هي تأتي لهذا السبب ، فيما عدا الفعل أيضا ، في العبرية ، مثل (kāmōnī) مثلى ، ولم تكن (ī) منبورة أصلا في العبرية والآرامية ، ولذلك احتفظت بنغمتها الأصلية .

وفي العبرية وبعض الأشورية ، جعلت صيغة الجمع (nā) مساوية لنهاية الضمير المنفصل فيهما ، وفي ضمير الغيبة المفرد ، وكذلك في ضميري الخطاب والغيبة الجمع حدث من المساواة ما حدث في الضمير المنفصل .

ولا تزال اللهجات العربية البدوية، تحتفظ بالأصل في ضمير الخطاب الجمع : (kum) والمؤنث منه (kin) ، وقد نشأت الضمائر الحبشية : ō ؛ ōmū ؛ ōn بسبب إدغام حركة (a) الموجودة في آخر الفعل أو الاسم، في الصيغ الأصلية للضمائر ، وهي : hun ؛ humū ، hu ولم تحتفظ الآرامية بالصيغة الأصلية ، لضمير الغيبة إلا في صورة الواو ،في

الصوت المركب aw , īw ، وفيما عدا ذلك ، زاحمتها الصيغة

الفرعية hī الناتجة ، بسبب قانون المخالفة بعد حركة u ، تلك الصيغة

التي تتعلق ، حتى بتلك الأصوات المركبة مرة أخرى : في آرامية العهد القديم

ōhī وفي السريانية: īw (hī) , aw (hī) .

٤-أسماء الإشارة في اللغات السامية

تعد من أسماء الإشارة البدائية ، لفظة : hā ، التي لا تزال تستخدم في

العربية للتنبيه ، بمعنى : انظر، ، وفي العبرية و اللحيانية للتعريف في أول

الكلمة وفي الآرامية للتعريف في آخرها ؛ فني العبرية habbayt

وفي الآرامية (baytā baythā > البيت) ، وهي ترتبط في العربية

والعبرية و الآرامية ، باسم الإشارة الذي يستخدم الآن على الأخص ، ضميرا

للغيبة ، وذلك في الآرامية للدلالة على البعد (ذلك) ، وفي الآرامية سقطت

الهاء الثانية : hānnēn ؛ hānnōn ؛ hāy ؛ haw ، وفي

العربية الحديثة ، خولفت الهاء الأولى : āhō ؛ āhī ؛ āhom

وتستعمل النون اسما للإشارة في الأشورية : aškānu (هناك) ،

وفي السريانية : yawmān(ā) (اليوم) ، tammān (ثم) ،

كما يتصل في السريانية كذلك بأسماء الإشارة المعتادة) ، وفي الأشورية تكون

اسم الإشارة العادي : annū (هذا) ، الذي يبني منه المؤنث :

annītu ، وجمع المذكر : annūtī والمؤنث

: annāti ، بتصريف كتصريف الأسماء، ويماثل هذا في

الأشورية أيضا : الاسم المصرف : ammū (ذلك) .

وأهم أسماء الإشارة في السامية الغربية ، في المفرد : dā̱ di̱ ،

بتوزيع متبادل بين المذكر والمؤنث ؛ وفي الجمع ʾl ؛ ففي العربية

تخصصت dā̱ بالمذكر ، كما تخصصت di̱ بالمؤنث ، إلى جانب

الصيغ الفرعية : (tī) , (tā) ، وفي الحبشية على العكس من

ذلك ، تخصصت (zā) بالمؤنث ، و (ze) بالمذكر ، وكذلك الحال في

العبرية ، تخصصت (zē) بالمذكر ، كما تخصصت (zō) بالمؤنث ،

التي غالبا ما تتصل بها نهاية التأنيث الاسمية ، فتصبح (zōt̠) أما

الآرامية فإن (di) تستخدم فيها اسم موصول عام ، وتستخدم (dā) للمؤنث ، وفي السريانية إلى جانب ذلك : dī>dē

والجمع سواء في المذكر والمؤنث في العربية: ʾulā(i) ، وفي العبرية وآرامية العهد القديم ʾēl ʾellē ، ولكنه في الحبشية يفترق فيه المذكر ʾellū : من المؤنث : ʾellā

ويتصل باسم الإشارة في العربية hā للدلالة على قرب المشار إليه ؛ المذكر : هذا ؛ والمؤنث: هاذى، و هذه ، والجمع : هؤلاء .

وتصل السبئية والفينيقية والحبشية والآرامية، إلى الغرض نفسه ، بإضافة نون إلى اسم الإشارة ، ويؤكد ذلك في الحبشية بإضافة tū ففي السبئية : dn والجمع : ʾln والمؤنث: ʾlt بنهاية تأنيث الاسم ؛ وفي الحبشية : zentū والجمع العام ʾellōn وجمع المذكر : ʾellōntū وجمع المؤنث : ʾellāntū و في الفينيقية zn ؛ وفي الآرامية : dēn ؛ dĕnā ، والجمع في آرامية العهد القديم : ʾillēn ؛ وفي السريانية ، يؤكد اسم الإشارة هذا مرة أخرى بإضافة

hā ؛ فتصبح : hādĕnā > hānā ، والمؤنث

hādē و hādā ، والجمع : hāllēn .

وترمز العربية و الحبشية و الآرامية ، لبعد المشار إليه ، بإضافة صوت الكاف، وتقوي الصيغ العربية : ذاك ، و المؤنث : تيك ، والجمع : أولاك ، عادة بإقحام لام، أيضا ، فيقال : ذلك ، والمؤنث : تلك ، والجمع . : أولئك ، ليست هناك صيغة : أولالك ، والسبب في ذلك هو في الغالب : الاكتفاء بأحد المقطعين المتماثلين .

وقد أكدت الصيغ الحبشية : zekū ومؤنثة : ʼentekū

والجمع : ʼellekū بإضافة اللاحقة tū ؛ فتصبح

zekwetū́ ʼentaktū : ʼellektū́ ، ʼellekwetū́ ؛ و في آرامية

العهد القديم : dēh ، والمؤنث : dāh ، والجمع :

ʼillēh ويؤكد بالنون dikkēn وبالأداة hā في

الفلسطينية : hādēh و في الجمع السرياني: hālōh و

hāleh وفي اللهجة البابلية hānnēh .

٥- الأسماء الموصولة في اللغات السامية

أصلها في كل اللغات السامية ، أسماء إشارة ، ففي العربية في لهجة طيىء ، وفي النقش الذي يرجع إلى عام ٣٢٨م كلمة : ذو، بمعنى الذي ، وكذلك في السبئية : ḏ والمؤنث ḏt ، وفي اللغة الأدبية تستعمل الصيغة المؤكدة باللام وأداة التعريف : الذي ، والمؤنث : التي، ، ويبني منها الجميع قياسا على الاسم : الذين ، والمؤنث : اللاتي .

وفي الحبشية za : ، والمؤنث ʾenta : ، والجمع ʾella وفي العبرية تستعمل أحيانا zū و zĕ وصيغة dī في الآرامية ، وصيغة dĕ في السريانية هي الصيغ المستعملة .

وتستخدم الآشورية والعبرية ، اسم الموصول ša (šu) ، والعبرية šo ، š ، تلك الصيغ ، التي تستعمل فيما عدا ذلك في العربية : ثم ، وفي العبرية šâm : وفي الآرامية tammmān : اسم إشارة بمعنى هناك ، غير أنه غالبا ما تستعمل في العبرية ʾăšer وهي في الأصل على ما

يرجح : اسم بمعنى مكان ، ثم استعملت فيما بعد ظرفا ، بمعنى حيث ، كما في الأشورية aŝar .

٦ - أسماء الاستفهام في اللغات السامية

نشأت أسماء الاستفهام، كما نشأت أسماء الإشارة، من أدوات التنبيه التي تطورت في داخل كل لغة ، وهكذا تستعمل : mī في الآشورية والحبشية ، بمعنى : ما أو كيف وفي العبرية mī : بمعنى : من ، غير أن الصيغة الفرعية mē تستعمل فيها بمعنى : ما ، وهي تدل في الأشورية والحبشية على المعنى المعتاد ما ، بتاكيدها عن طريق عنصر الإشارة : النون ؛ ففي الآشورية mīnu وفي الحبشية . ment أما mā في العبرية والعربية والآرامية ، فهي بمعنى ما ، غير أنها حين تؤكد بعنصر الإشارة والنون، ، تصبح بمعنى : من، في الآشورية والآرامية والعربية والحبشية ؛ ففي الآشورية والحبشية mannū : وفي الآرامية والعربية :

man ؛ أما السريانية الحديثة ، فقد بقي فيها معنى ما، ، في صيغ مثل : mān ؛ mānā mādēnā وقد تطورت أدوات الاستفهام الوصفية ، من الأصل(ay) : ، الذي هو في الحبشية سواء في المذكر والمؤنث ، ويتصل به

النهايات الإعرابية في الآشورية ayyu : ، كما يتصل به في العربية ، نهاية التأنيث التي تدخل على الأسماء ، فيقال : أى، و أية ، وتؤكد في الآرامية باسم الإشارة في السريانية ʾaynā ، والمؤنث : ʾaydā ، والجمع ʾaylēn : .

٧ -أبنية الاسم في اللغات السامية

ترجع الكثرة العظيمة ، لأبنية الاسم في اللغات السامية ، إلى ثلاثة أصول من الأصوات الصامتة ، غير أنه يوجد أيضا بين الثروة اللغوية القديمة ، أسماء ذات أصلين من تلك الأصوات ، وهي أولا : تلك الكلمات التي تدل على القرابة ، مثل : أب، و أخ و حم، والتي تعد كلمات منحدرة من لغة الأطفال ، على نحو ما ، والمجموعة الثانية من هذه الأسماء هي : العدد اثنان، وكذلك الكلمات الآتية : في العربية : شفة ، وفي العبرية śâfâ ، وفي السريانية sefṯā وفي الآشورية šaptu : وكذلك : في العربية :: ماء ، وفي الحبشية : māy وفي العبرية : mîyim ؛ وفي السريانية mayyā ؛ وفي الآشورية mē وكذلك في العربية : شاء ، ؛ وفي العبرية śē : ؛ وفي

الآشورية šu'u : وكذلك في العبرية mĕṯīm ؛ وفي الأشورية mutu ؛ وفي الحبشية met رجل .

وهذه الكلمات السابقة ، توجد أيضا في المصرية القديمة :: sn اثنان ، spt شفة ، mw ماء ، sw شام ، mt رجل ، هذا إلى بعض الكلمات الأخرى ، الخاصة باللغات السامية ، أو ببعضها .

وكذلك الحال في اللغات السامية، تستخدم الأوزان : ل katal , kutul , kitil في الفعل والاسم ،وتؤيد مقارنة معظم اللغات ، القول بأن معنى الفعل ، ليس إلا اشتقاقا من معنى الاسم ، ويؤيد ذلك في اللغات السامية كذلك ، أن الأوزان الاسمية ، تطورت تطورا أكبر من تطور الأوزان الفعلية ، والعرض الكامل لهذه الأوزان ، أو حتى المهم منها ، يضيق عنه محيط هذا الكتاب ، وسوف نذكر هنا أن الأوزان ذات المقطعين ، يمكن أن تصير مقطعا واحدا ؛ بسبب انتقال النبر إلى المقدمة ، مثل : katl ؛ kitl ؛ kutl كما يمكن أن تطول بمد الحركة : katāl ؛ katīl ؛ kutūl وغير ذلك ، وهو الطول الذي يساوي الاتصال بنهاية التأنيث ؛ مثل katalat : وغيرها، في أنه وسيلة بناء مرادفة ، وفي

معظم هذه الأبنية ، توجد إمكانية الاستعمال الحسي والمعنوى والاسمي والوصفي ، الواحد بجوار الأخر .

وتتكون بعض أبنية الاسم كذلك ، بإضافة المقطع (ma) , (ta) إلى أول الكلمة maḳtal taḳtal : والوزن الأول غالب في المعنى الحسي للمكان ، أو آلة العمل والثاني غالب في المعنويات ، وينتج النوع الثالث من الأبنية ، بإضافة مقاطع إلى آخر الاسم ، وأهم هذه المقاطع īy ; ān وقد تتصل هذه المقاطع الأخيرة ، بالأسماء الجامدة كذلك ، ففى العربية : أرض ، و أرضي .

٨- التذكير والتأنيث في اللغات السامية

لفت الجنس نظر الإنسان الأول ، حين عرف الفرق بين الذكر والأنثى في الإنسان والحيوان ، وانعكس أثر ذلك بالطبع على لغته ، وتدل مقارنة اللغات السامية ، على أن الساميين القدامى كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللغة ، لا بوسيلة نحوية ، ولكن بكلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل آخر للمؤنث ؛ ففي العربية مثلا : حمار للمذكر ، في مقابل : أتان ، لأنثى الحمير ، و غلام للمذكر ، في مقابل : جارية للأنثى ، وغير ذلك ، وفي اللغة العبرية :

אַיִל ʾáyil كبش في مقابل רָחֵל rāḥēl نعجة / رخل ،

لأنثى الكبش، وفي السريانية : ܓܕܝܐ gaḏyā جدى في مقابل :

ʿezzā عنزة ، وهما في الآشورية : gadū جدى و ʾenzu

عنزة ، ومثل ذلك في الحبشية : ʾab أب في مقابل : ʾem

أم وغير ذلك كثير .

وقد فطن إلى ذلك اللغويون العرب أنفسهم ، فقد قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، في التعليقة على المقرب : كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ غير لفظ المذكر ، كما قالوا : عير وأتان ، وجدى وعناق ، وحمل و رخل ، وحصان وحجر ، إلى غير ذلك ، لكنهم خافوا أن يكثر عليهم الألفاظ ، ويطول عليهم الأمر ، فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة ، فرقوا بها بين المذكر والمؤنث ، تارة في الصفة كضارب وضاربة ، وتارة في الاسم كامرىء وامرأة ، و مرء و مرأة في الحقيقي ، ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة ، للتوكيد وحرصا على البيان ؛ فقالوا : كبش ونعجة ، وبلد ومدينة .

ومثل ذلك يلاحظ في اللغات الهندوأوروبية كذلك ؛ ففي الانجليزية مثلا son : ابن في مقابل daughter : ابنة ، وكذلك brother : أخ في مقابل sister :

أخت ومثل ذلك في الألمانية » Sohn : ابن في مقابل Tochter : ابنة وكذلك Bruderأخ في مقابل Schweser : أخت ..وهكذا .

غير أن هناك أشياء لا صلة لها بالجنس الحقيقي على وجه الإطلاق ، مثل الجمادات كالحجر والجبل ، والمعانى كالعدل والكرم ، وغير ذلك ؛ فمثل هذه الأمور لا يلحظ فيها تذكير ولا تأنيث ، بالمدلول الحقيقي الطبيعي لهاتين الكلمتين ، وكان ذلك - فيما يبدو – هو السبب الذي جعل بعض اللغات تقسم الأسماء الموجودة فيها إلى ثلاثة أقسام : مذكر و مؤنث ، وقسم ثالث هو ما يسمى في اللغات الهندوأوروبية بالمحايد (Neuter) ، وهو في الأصل ما ليس مذكرا ولا مؤنثا .

ولكن اللغات البشرية ، لم تسر كلها هذا الشوط على نمط واحد ؛ فقد وزعت اللغات السامية مثلا ، أسماء القسم الثالث ، وهو المحايد ، على القسمين الآخرين ، وصارت الأسماء فيها إما مذكرة وإما مؤنثة ، ويقول المستشرق رايت w. Wright : اعتبر خيال الساميين النشيط كل الأشياء – حتى تلك التي لا حياة فيها - ذات حياة وشخصية .

ومثل ذلك حدث في اللغة الفرنسية ؛ إذ ليس في أسمائها إلا التذكير والتأنيث ، وكانت الإنجليزية في ذلك أوغل من الفرنسية ، فقد كانت الإنجليزية القديمة ، تميز في الأداة ثلاث صيغ مختلفة للأجناس الثلاثة المختلفة sé و thaet , seo

، بل كانت تحتوى على تصريف كامل للأداة ، فيه أربع حالات مختلفة لكل فرع من فروع العدد ، ولكنها ما لبثت أن بسطت هذا التصريف إذ إنها قالت أولا في حالة الرفع بتأثير القياس :theo, the theat ، ثم جمعت بين المذكر والمؤنث في صيغة واحدة the ، وأخيرا أسقطت المبهم (ويقصد به المحايد) ، فلم يبق لها في المفرد إلا صيغة واحدة ، وفضلا عن ذلك كانت هذه الصيغة هي صيغة الجمع ، ولما فقدت الأداة تصرفها ، حرمت اللغة من التعبير عن الجنس ؛ لأن الصفة من جهتها صارت مجردة من التصريف ،وقد فطن بعض العلماء إلى أن التذكير والتأنيث في اللغة من خصائص الحيوان وأن إطلاقه على غير ذلك يكون على سبيل المجاز ؛ فقال ابن رشد : والتذكير والتأنيث في المعاني إنما يوجد في الحيوان ، ثم قد يتجوز في ذلك في بعض الألسنة ، فيعبر عن بعض الموجودات بالألفاظ ، التي أشكالها أشكال مؤنثة ، وعن بعضها بالتي أشكالها أشكال مذكرة ، وفي بعض الألسنة ليس يلفى فيه للمذكر والمؤنث شكل خاص ، كمثل ما حكى أنه يوجد في لسان الفرس ، وقد يوجد في بعض الألسنة أسماء هي وسط بين المذكر والمؤنث ، على ماحكى أنه يوجد كذلك في اليونانية .

وقد أهملت بعض اللغات ناحية التذكير والتأنيث تماما ، وقسمت الأسماء فيها إلى أسماء أحياء وأسماء جمادات ، ومثل ذلك مجموعة البانتو في جنوب أفريقيا ؛ ففي هذه اللغات يراعي المتكلم في صيغ الأسماء التفرقة بين الحي

والجماد وكذلك لغة الألجونكين algonguin تميز بين جنس حي وجنس غير حى ويقول بروكلمان : وفي اللغات البدائية ، ليس هناك نوعان فحسب من الجنس ، كما في اللغات السامية ولا ثلاثة أنواع كما في اللغات الهندوأوروبية ، بل فيها غالبا أنواع كثيرة ، يفترق بعضها عن بعض نحويا ، وتتوزع فيها كل أشياء العالم المحسوس، ويرجع هذا التوزيع في الأساس ، إلى تأملات تأملات خرافية ، على قدر ما يبدو للرجل البدائي ، أن العالم كله من الأحياء .

وهذه التأملات الخرافية ، التي يتحدث عنها بروكلمان ، توجد كذلك في اللغات التي قسمت الأسماء فيها إلى مذكر و مؤنث ؛ إذ إننا لا نجد في كثير من الأحيان صلة عقلية منطقية ، بين الاسم وما يدل عليه من تذكير أو تأنيث ، والدليل على فقدان هذه الصلة العقلية ، أن من اللغات ما يعد بعض الكلمات مؤنثا ، وهي مذكرة في لغات أخرى ، والعكس بالعكس ؛ فمثلا تعد اللغة العربية : الخمر و السن و السوق كلمات مؤنثة ، في حين تعدها اللغة الألمانية مذكرة ، فهي فيها كما يلي der Wein ,der Markt, der Zahn : كما تعد اللغة العربية أيضا : الصدر و الأنف واللسان كلمات مذكرة ، وهي على العكس من ذلك مؤنثة في الألمانية ؛ فهي فيها die Zunge, die : Nase, die Brust وحتى تلك اللغات التي تفرق بين المذكر والمؤنث والمحايد ، كالألمانية ، نلحظ فيها هي الأخرى ، فقدان هذه الصلة العقلية المنطقية ؛ فالحجر der Stein والمطر der Regen مذكران في الألمانية ،

مع أنه لا أثر فيهما للتذكير الحقيقي ، وكان أولى بهما أن يكونا في قسم المحايد ، وكذلك العالم die welt والباب die Tur مؤنثان في الألمانية ، ولا نرى فيهما أثرا من آثار التأنيث الحقيقي .

وقد ترتب على فقدان هذه الصلة العقلية بين الاسم ومدلوله الجنسي ، أن يهتز هذا المدلول في أذهان أصحاب اللغة أنفسهم ، فهناك من يظن أن كلمة : مستشفى ، مثلا مؤنثة ، مع أنها مذكرة ، ويظهر أن تأنيثها قد جاء قياسا على الكلمة الأخرى : اسبيتالية المستعارة من اللغات الأوربية .

وفي اللغات السامية علامات خاصة للتأنيث ، فيما عدا الحالات التي تكلمنا عنها من قبل ، وهي التي يعبر فيها عن المؤنث بكلمة تختلف في الأصل ، عن تلك الكلمة التي يعبر بها عن مذكره ، وهذه العلامات هي : التاء ، والألف الممدودة ، والألف المقصورة .

أما العلامة الأولى وهي التاء ، فهي أهم العلامات وأكثرها انتشار في اللغات السامية ، ويرى بروكلمان أنها ربما كانت في الأصل عنصرا من عناصر الإشارة ،وهذه التاء يفتح ما قبلها دائما ؛ مثل : كبيرة وصغيرة ، ولحية ، ورقبة ، إلا في الكلمات ذات المقطع الواحد عند الوقف ، فيأتي ما قبلها ساكنا ، في مثل : بنت مؤنث ابن ، و أخت مؤنث أخ في اللغة العربية ، وكذلك

ሀብት habt هبة في اللغة الحبشية ، وكذلك : ርስት rest ميراث

šartu شعر bēltu زوجة / سيدة / بعلة في اللغة الأكادية .

ويرى النحاة العرب أن هذه التاء الساكن ما قبلها ، ليست للتأنيث ؛ يقول ابن جني مثلا : أخت وبنت وليست التاء فيهما بعلامة تأنيث ، كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن ، لسكون ما قبلها، هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح ، وقد نص عليه في باب مالا ينصرف ... على أن سيبويه قد تسمح في بعض ألفاظه في الكتاب فقال : هما علامتا تأنيث ، وإنما ذلك تجوز منه في اللفظ .

وهذه الفكرة الخاطئة هي إحدى نتائج الجهل باللغات السامية ؛ يقول في ذلك برجشتراسر : وذكر الزمخشري أن التاء في الأخت والبنت أبدلت من الواو ، وذلك أنه ظن أن مادتهما : أخو وبنو ، وأن التاء أصلية لام الفعل قامت مقام الواو ، ونحن نعرف أن الأخ والابن من الأسماء القديمة جدا ، التي مادتها مركبة من حرفين فقط ، لا من ثلاثة أحرف ، وأن التاء وإن لم تسبقها فتحة هي تاء التأنيث ، فهي في غير اللغة العربية ، وخصوصا في الأكادية والعبرية ، كثيرا مالا فتحة قبلها ، وقد بقيت تاء التأنيث ، كما هي في الآشورية والحبشية ، في حالتي الوصل والوقف ، أما في اللغة العربية ، فإنها تقلب هاء في حالة الوقف ؛ فيقال عند الوقف : كبيره ، وصغيره ، ولحيه ، وبقره .

ونحن عندما نقول : إن التاء تقلب هاء ، إنما ننظر إلى النتيجة النهائية ، لا إلى التطور الصوتي ؛ فإنه ليس ثمة علاقة صوتية بين التاء والهاء ، وإنما تطور المسألة أن التاء سقطت حين الوقف على المؤنث ، فبقي المقطع السابق عليها مفتوحا ذا حركة قصيرة ، وهذا النوع من المقاطع ، تكرهه العربية في أواخر الكلمات ، فتتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت ، وهكذا يبدو الأمر كما لو أن تاء التأنيث قد قلبت هاء ، على أن الحقيقة هي أن التاء قد سقطت لعلة ، وأن الهاء قد جاءت لعلة أخرى !. فليس بينهما تبادل صوتى ، كما ترى .!

ولأن هذه التاء تقلب هاء في الوقف - كما ذكرنا - رسمت في الإملاء العربي على صورة الهاء ؛ فإن كل كلمة تكتب في الخط العربي ، كما ينطق بها في الابتداء والوقف ؛ يقول الإمام السيوطي : الأصل رسم اللفظ ، أي كتابته بحروف هجائية ، يلفظ بها مع تقدير الابتداء به والوقف عليه، وقد انتقلت صيغة الوقف هذه إلى الكلام المتصل كذلك في كل من الآرامية والعبرية واللهجات العربية الحديثة ، ثم تطورات الهاء في الآرامية والعبرية إلى ألف المد ؛ فيقال في الآرامية : ܒܝܫܐ bīšā رديئة ، وفي العبرية יַלְדָּה yaldā بنت ، وفي اللهجات العربية الحديث : šagara kbīra شجرة كبيرة .

وقد انتقلت حالة الوقف إلى الوصل كذلك في بعض اللهجات العربية القديمة ؛ فقد روى لنا الفراء أن الوقف على هاء التأنيث في الوصل لغة فيقولون : هذه طلحه قد أقبلت وأنشد على هذه اللغة قول الراجز :

لما رأى أن لا دعه ولا شبع مال إلى أرطاة حقف فاضطجع

والدليل على أصالة التاء في هذه اللغات كلها ، أنها تعود للظهور مرة أخرى عند الاتصال بمضاف إليه ؛ فالتراكيب الإضافية تحتفظ بالعناصر اللغوية القديمة ، أو كما يقول اللغويون العرب : الإضافة ترد الأشياء إلى أصولها .

مثال ذلك في العبرية : יַלְדַּת מֹשֶׁה yaldaṯ Mōšē بنت موسى ، وفي الآرامية : ܡܰܠܟܬ݂ܗܘܢ malkaṯhōn ملكتهم ، وفي العربية الحديثة : شجرة التوت و جنية البحر .

وقد بقيت تاء التأنيث في الآرامية كذلك ، قبل أداة التعريف التي تلحق آخر الاسم ؛ لأنها لم تطرف فتسقط ؛ وذلك مثل ܫܰܦܺܝܪܬܳܐ šappīrtā بمعنى : الجميلة .

أما العلامة الثانية ، وهي الألف الممدودة ، فتوجد في اللغة العربية على الأخص في صيغة » فعلاء مؤنث أفعل الدال على الألوان والعيوب الجسمية ؛ وذلك مثل : حمراء مؤنث أحمر ، و عرجاء مؤنث أعرج، ويرى بروكلمان أن هذه الألف تطابق في اللغة العبرية ، الضمة الطويلة الممالة (ō) في كلمة שִׁילֹה šīlō = اسم مكان .

وأما العلامة الثالثة للتأنيث ، وهي الألف المقصورة ، فتوجد في اللغة العربية على الأخص ، في صيغة : فعلى مؤنث أفعل ، الدال على التفضيل ؛ مثل : كبرى مؤنث أكبر، وهي تقابل في اللغة العبرية ay (ַי) في مثل : שָׂרַי śāray إلى جانب : שָׂרָה śārā سارة ، كما تقابل في الآرامية : ܛܘܥܝܝ ṭuʿyay ضلالة .

وقد تطورت (ay) هذه في بعض كلمات العبرية والآرامية القديمة إلى : (ē) ؛ مثال ذلك في العبرية : עֶשְׂרֵה ʿeśrē عشرة (وهي العشرة المركبة مع الآحاد) ومثاله في الآرامية القديمة : אָחֳרֵי ʾoḥŏrē أخرى .

وهاتان العلامتان الثانية والثالثة من علامات التأنيث ، قد زالتا تقريبا من بعض اللهجات العربية الحديثة ، وحلت محلهما تاء التأنيث ؛ فنحن نقول في : حمراء وبيضاء وصحراء وعمياء وميناء : حمره وبيضه و صحره وعميه وعميه ، وكما نقول في : حبلى وسلمى وخبازى وعدوى وفتوى : حبله وسلمه وخبيزه وعدوه و فتوه .

وقد حدث مثل ذلك في لهجة الأندلس العربية ، في القرن الرابع الهجري ؛ فقد ذكر أبو بكر الزبيدي في كتابه : لحن العوام أن الأندلسيين كانوا يقولون في عصره : مينه وحلوه و دفله و حباره ، في : ميناء و حلواء و دفلى وحبارى .

والسر في زوال هاتين العلامتين ، وحلول العلامة الأولى ، وهي التاء ، محلهما ، هو ميل اللغة إلى أن تسير في طريق السهولة والتيسير ؛ فبدلا من أن يكون للتأنيث ثلاث علامات ، تصبح في اللغة علامة واحدة لكل أنواع المؤنث ، ونلحظ مثل هذا في لغة الطفل ، الذي يميل إلى أن يؤنث المؤنث بالتاء وحدها ؛ لأنها هي العلامة الكثيرة الشيوع في لغة الكبار من حوله ، فنراه يقول مثلا : قلم أحمر وكراسه أحمره وهو يحتاج إلى بعض الوقت ، حتى يدرك أن هناك صيغا أخرى للتأنيث .

ويرى بعض الباحثين المحدثين ، أن الألف المقصورة والممدودة في العربية ، تطور عن تاء التأنيث في السامية الأولى ، والسبب في هذا ماراه من تطور هذه التاء في العبرية والآرامية إلى ألف المد .

والحقيقة أن وجود (الياء) فيما تبقى من أمثلة الألف المقصورة في العبرية والآرامية (التي عرضناها من قبل) يجعلنا نرى سلفا آخر للألف المقصورة ، غير تاء التأنيث ، هو (الياء) ، أي أننا نتصور أصل كلمة : (حبلى) مثلا ، على النحو التالي : حُبْلَيُ ← حُبْلَيْ ← حُبْلِيَ ← حُبْلَىٰ

وهذا يعني أن أصل هذه الألف : ā < ē < ay < ayu

على العكس من تاء التأنيث التي تطورت في العبرية والآرامية على النحو التالي : ā < ah < at

فمثلا كلمة : ملكة سارت في العبرية والآرامية على النحو التالي :

العبرية : מַלְכַּת ← מַלְכַּה ← מַלְכָּה

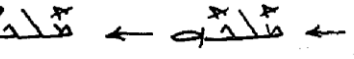

الآرامية : ܡܠܟܬ ← ܡܠܟܬܗ ← ܡܠܟܬܐ

غير أن الفرق بين اللغتين أن العبرية ، كتب خطها في أثناء المرحلة الوسطى ، التي كانت تنطق فيها الهاء ، على العكس من الآرامية ؛ فقد كتب خطها في أثناء المرحلة الأخيرة ، وكانت الهاء قد سقطت فيها من النطق .

وفي اللغة العربية ، تستغني عن علامة التأنيث مطلقا ، تلك الصيغ التي تعبر عن الأحوال الخاصة بالمؤنث ، والناتجة عن خصائص ذلك الجنس ؛ مثل : حائض وعاقر وحامل وناهد وعانس وناشز .

وتحتوى اللغات السامية فيما عدا ذلك على الكثير من الكلمات المؤنثة بلا علامة تأنيث ، وهو ما يسمى بالمؤنثات السماعية ؛ مثل : عين وأذن وعضد وكتف وذراع وقدم وكف وظفر وجناح وكبد وضلع وعقب ودلو وسوق وأرنب ونعل، وغير ذلك كثير في العربية .

وتميل اللغة الآشورية إلى إدخال تاء التأنيث على هذه المؤنثات السماعية كذلك ؛ فمثلا كلمة : نفس مؤنثة بلا علامة في العربية ، وكذلك في الحبشية :

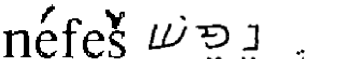

ነፍስ nafs والعبرية : נֶפֶשׁ néfeš والآرامية : ܢܦܫܐ

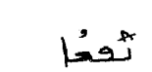

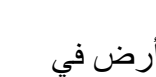

nafšā ، أما الآشورية ففيها : napištu ، وكذلك كلمة : أرض في

العربية ، فهي في العبرية : אֶרֶץ ʾéreṣ والآرامية :

ܐܪܥܐ ʾarʿā أما في الآشورية فهي : ʾirṣitu بتاء

التأنيث .

وقد حدث في بعض اللهجات العربية القديمة ، مثل ذلك في بعض الكلمات ؛ يقول الفراء : والحال أنثى ، وأهل الحجاز يذكرونها ، وربما أدخلوا فيها الهاء ويسمى ابن خالويه ذلك تأكيد المؤنث ؛ فيقول : العرب تقول في تأكيد المؤنث ، وإن لم يحسوا لبسا : عجوزة وأتانة .

ومثل ذلك حدث في العامية المصرية ، مع بعض المؤنثات السماعية ؛ إذ يدخل عليها المصريون تاء التأنيث ؛ فيقولون في خمر وسكين وعقرب وكبد وقدر مثلا : خمرة وسكينة و عقربة و كبدة وقدرة ، كما فقدت بعض المؤنثات السماعية فكرة التأنيث في أذهان المصريين ، وأصبحت تستخدم استخدام المذكر ؛ مثل : ذراع وقدم وإصبع وظفر وسوق، ولم يبق إلا القليل من هذه المؤنثات السماعية القديمة ، الذي لا يزال يرتبط في أذهاننا بفكرة التأنيث ، مثل : رجل ويد وعين ونفس ، وغير ذلك .

٩- الجمع والتثنية في اللغات السامية

يمكن للجميع أن يشتق من المفرد ، بتغيير طفيف في حركاته ، وهكذا نجد جمع كلمة : حمار، في العربية : حمير ؛ وفي السريانية : ḥmārā جمعها ḥimrā ،كما أن كلمة : قرية ، في العربية ، جمعها : قرى ؛ وفي السريانية ḳrīṯā جمعها ḳuryā ، وكما في الآرامية يوجد كذلك في العبرية مثل هذا الجمع ، بتغيير بناء المفرد ، في أمثلة قليلة ، ولكن هذا النوع من الجموع، قد انتشر أعظم انتشار و أوفره في العربية والحبشية ، وضيق فيها الخناق تضييقا شديدا ، على أبنية الجموع الأخرى، ولا يمكن هنا التعرض لتفاصيل طريقة بناء هذا الجمع ، الذي يسمى : جمع التكسير .

غير أنه يتحد في الجوهر والأصل ، مع هذه الأبنية ، تلك الجموع العادية ذات النهايات ، ولم تستخدم السامية الأولى هذه الجموع، بصفة دائمة ، ولذلك لا يشترك فيها دائما ، إلا بعض اللغات ، وفيها النهايات التالية :

ān وهي كثيرة الورود في كل اللغات ، للدلالة على اسم المعنى ، وهي النهاية المعتادة في الحبشية ، لجمع الأسماء والصفات ، مثل ḳasīsān قسس، ḥadīsān جدد ، ولم تبق هذه النهاية في العربية ، إلا متصلة بإعراب المفرد

، في جمع التكسير ؛ مثل : إخوان ، و فرسان ، ومن المعتاد جدا في الأشورية ، ظهور مثل هذه النهاية في صورة **āni** ، مثل **ilāni** : آلهة ، وفي السريانية توجد متصلة بحركة : **ē** في كلمات العقاقير والرتب ؛ وذلك مثل **meshānē** زيوت ؛ ومثل: **rawrbānē** شرفاء ، وقد انتقلت هذه النهاية في الآرامية للدلالة على جمع المؤنث في حالة الإطلاق ، من الفعل فيها ، لأن الاسم في حالة الإطلاق ، يشبه الفعل في المقام الأول ، في صلاحية وقوعه خبرا في الجملة .

ū : و هي أكثر شيوعا في العربية ، وقد خصصت فيها بحالة الرفع، في مقابل النهاية **ī** : وتدل على اسم المعنى ، عند اتصالها بنهاية التأنيث العادية (t) ، (في صورة (**ūtu**)

في الأشورية ، وصورة (**ūtā**) : في العبرية و الآرامية ، التي استعيرت في الحبشية في صورة(**ōt**) ولم تحتفظ هذه النهاية بشكلها الأصلي في العربية ، إلا عند الاتصال المباشر بمضاف إليه ، على حين أنها تطورت إلى **ūna** عند الاستقلال ، وهي كذلك شائعة جدا ، في البابلية

القديمة في لغة حمورابي، ؛ إذ خصصت فيها كذلك بحالة الرفع ، في مقابل ē ؛ مثل awēlū : أناسي، وعند اتصالها من جديد بتاء التأنيث في صورة ūti ، تكون في الآشورية كذلك ، الصيغة الوحيدة المستعملة في جميع الصفات مثل: ilāni rabūti الآلهة الكبار، .وتظهر هذه النهاية في أحد نقوش الآرامية القديمة ، التي وجدت في (تل زنچيرلى) ، في كلمة: ’allāhū الآلهة .

ī : وهي في الآرامية والحبشية (abati = واحدة) نهاية للتأنيث ، وعند اتصالها من جديد بالتاء ، تكون في الحبشية والعبرية و الآرامية ، النهاية العادية الاسم المعنى (في العبرية rēšīt = = : بداية) ، وقد خصصت في العربية ، في مقابل (ū) بحالات الإعراب الباقية (الجر والنصب) ، وتتصل بها ، كما تتصل بتلك أيضا: na في حالة الإطلاق ، وتتصل هذه النهاية في الحبشية ، بكل صيغ الجموع و الأبنية المشاكلة لها ، حين يتصل بها ضمير متصل ، في جمع التكسير ؛ مثل kebūrānihū : كبراؤه، وفي جموع التصحيح ؛ مثل ’abawīhā آباؤها ، وفي النهاية العادية للجمع، في حالة

الإطلاق ، في العبرية و الآرامية ، وتؤكد كما في العربية بالنون ، na في الآرامية المؤابية ، ونادرا في العبرية المتأخرة ، و بالميم في العبرية القديمة والفينيقية.

ō وهي شائعة في العربية والعبرية و الآرامية ، للدلالة على التأنيث ، وفي الآرامية للدلالة على اسم المعنى في المصادر ، وكذلك في الحبشية weddāsē ثناء ،وهي في الأشورية إلى جانب āni النهاية العادية للجمع، سواء في حالة الإطلاق مثل: rakbē رسل ، أو قبل الضمير المتصل على الأخص ، مثل: bēlēya أسيادي ، وقد خصصت في البابلية القديمة، بحالتي الجر والنصب ، في مقابل (ū) كما وضعت في الآرامية ، في الأسماء المعرفة (حالة التعريف (Status emphatics في مقابل: (in) ، أما آرامية العهد القديم ، فلا توضع فيها إلا بعد نهاية النسب (āy)وفي دائرة أوسع في الآرامية الغربية الحديثة ، وهي النهاية المسيطرة في الآرامية الشرقية .

ay : وهي النهاية المعتادة للجمع ، في حالة الإضافة ، وقبل الضمير المتصل في العبرية ، حيث يتحتم أن تتحول إلى ē إذا تطرفت ، وفي الآرامية كذلك ، غير أنها ربما لم تكن في اللغتين ، إلا منقولة من المثنى ، وفي الآرامية الغربية ، ينتج منها مع أداة التعريف: hā نهاية الجميع

المعرف : ayyā <*ayhā .

ويعتمد على مبدأ آخر ، بناء الجمع بنهاية التأنيث:at التي تمد فيها الحركة ، فتصبح : ة āt ، ولكن هناك في كل اللغات السامية ، أسماء تنتهي في المفرد بنهاية التأنيث ، غير أن الجمع فيها يبني على العكس من ذلك ، قياسا على المذكر ، من الأصول المجردة من هذه النهاية، ففي العربية : سنة ، وفي العبرية šânâ وفي الآرامية šattā والجمع : سنون ، šenīn ! šānīm ، كما يوجد من ناحية أخرى ، عدد كبير من الأسماء المجردة من علامة التأنيث ، ولكنها تقبل تلك النهاية في الجمع ، لاسيما في الحبشية ، إذ أصبحت النهاية (āt) فيها ، هي نهاية الجمع السائدة ، للأشياء غير الحية والمعاني ، ويندر أن تدخل النهاية ōt في العبرية ، على الفرد المنتهي بتاء التأنيث ، عندما يفقد معنى التأنيث في الذوق اللغوي مثل :

k̆esâṯōṯ = أقواس ، من المفرد késeṯ ، غير أن هذه الحالة السابقة هي المعتادة في اللغة الحبشية ؛ مثل: ʿāmat عام، وجمعه ʿāmatāt ، وإعراب هذه النهاية āt هو نفس إعراب المفرد ، ولكن العبرية غالبا ما يحمل فيها الضمير المتصل الجمع ، في المؤنث على المذكر ؛ فإلى جانب ʾăbôṯâm آباؤهم ، ظهر متأخرا ʾăbôṯêhem : ، بعكس : آبائي ، فإنها دائما ʾăbôṯay ، وبناء الجمع بتكرار الأسماء المكونة من أصلين ، يعد من الأمور القديمة جدا

بحسب طبيعته ؛ مثال ذلك في الآرامية rabrĕbē ، وفي السريانية rawrbē كبار من المفرد rab : ، وكذلك dakdĕkē صغار ، ولا يوجد ذلك في العبرية ،إلا في الأسماء المنتهية بحركة في pīfīyōṯ : إلى جانب, pīyōṯ : قطع ،، من pī ، pē ومعناه في الحقيقة : فم ، وفي : mēmē، بجوار الصيغة الشائعة mē وهي حالة إضافة من máyim مياه

.

وإلى جانب الجميع ، قام المثنى في اللغات السامية ، أصلا للدلالة على الأزواج الطبيعية ، كالأعضاء المزدوجة ، غير أنه أصبح فيما بعد ، يعبر

كذلك عن التثنية مطلقا ، وهو ينتهي بالنهاية (ā) , (ay) وهما في العربية لحالة الإضافة من ناحية ، ومن ناحية أخرى للتفرقة بين حالات الإعراب ، أما حالة الإطلاق ، ففيها يتصل بهما ، كما يتصل بالجمع ، النهاية (na) ، التي تخالف بعد (ā) إلى (ni) ثم تحمل (ay) عليها كذلك ، وكذلك الحال في العبرية والآرامية ؛ إذ تؤكد (ay) في حالة الإطلاق ، بالميم ، أو النون ، كما في الجمع .

ويكاد المثنى أن يندثر في الآرامية ، على حين يوجد في آرامية العهد القديم ؛ مثل: yĕdáyim يدان ، ولا يوجد في السريانية إلا في الأعداد trēn : اثنان ، maṯēn مائتان ، وفي الأشورية ā هي النهاية المعتادة للمثنى ، سواء المطلق المقوى بالنون منها ، في apšān : حبلان ، أو المتصل بضمير متصل ؛ مثل: īnāšu عيناه ، ولا وجود للمثنى في الحبشية ، إلا في بقايا متجمدة ؛ وذلك في صورة ā في ʿeśrā عشرون، وفي صورة ē : في kelʾē اثنان، ، وفي ḥakwē حقو، التي فقد فيها معنى المثنى ، وفي الصيغ المتصلة بضمير متصل ، مثل: ʾedēhu يداه ، وغير ذلك .

١٠- التعريف والتنكير في اللغات السامية

لم تكن اللغات السامية على ما يبدو - تستخدم في الأصل رمزا أو أداة بعينها للتعريف ، وقد حافظت الأكادية والحبشية على ذلك الأمر ؛ ففي اللغة الحبشية يمكن للاسم المجرد أن يدل على التعريف الإشاري الدقيق ؛ فمثلا كلمة : ዮም yōm يمكن أن يكون معناها في سياق النص " اليوم " .

ولا تزال تلك المقدرة على هذا السلوك ، موجودة كذلك في العربية ؛ ففي تاريخ الطبري مثلا : (سدوم يوما هالك) يعنى : سدوم اليوم هالك ، وفيه كذلك : (فقال أبو قبيس : لا أسلم سنة) يعنى : السنة ، وفيه أيضا : (إنما عهدك بالعمل عاما أول) يعنى العام الماضي ، ومثل ذلك في العبرية كلمة עַתָּה attā الآن .

وفيما عدا ذلك ، يوجد للتعريف في العربية الأداة : ال ، وفي العبرية الأداة : hā (הָ) في رأي بروكلمان أو : han (הַ נ) في رأي أونجناد ، أو : hal (הַ ל) كما هو الرأي الشائع الذي ارتضاء معظم الدارسين للعبرية ، وهذه الأداة في العربية والعبرية ، توضعان في أول الكلمة في كل منهما .

وفي العربية الجنوبية ، توجد النون (٤) ، وفـي الآرامية ، الألف الممدودة

(ܐ) اللتان توضعان في آخر الاسم المعرف ، غير أنها في اللغة

السريانية ، فقدت هذه الألف الممدودة (ā) قوتها التعريفية ، وأصبحت هي

النهاية العادية للاسم ، فلا تدل على التعريف إلا في المفعول المباشر ، الذي

ألحقت بـه اللغـة السريانية المتأخرة ، لام الجـر ؛ وذلـك مثـل :

ܫܒܩܬܘܢ ܠܒܪܘܝܐ šḇaḳtōn lḇārōyā تركتم الخالق، وغالبا ما يعبر عن

التعريف في السريانية ، بضمير متصل يعود إلى الاسم الذي يذكر بعد

و ذلك ؛ مثل : » ܡܢܗ ܕܪܥܝܐ menneh drā ʿ yā من الراعى ، كما

نرى في الترجمة السريانية القديمة للإنجيل من اليونانية : كلمة تلاميذه ، حيث

لا يوجد في النص اليوناني سوى كلمة : التلاميذ .

وقد سارت اللغة الحبشية ، خطوة إلى الأمام ، حيث يمكن للاسم فيها أن يعرف

بضمير عائد عليه ؛ مثل : **be'esīhū** الرجل .

وفي كل اللغات السامية ، تتعرف من نفسها ، الأسماء التي تأتي في حالة

إضافة ، وبعدها مضاف إليه ، ولهذا تتعرف الأسماء التي تضاف إلى الضمائر

المتصلة كذلك .

وهناك من يرى أن ثمة علاقة بين أداة التعريف واسم الإشارة ، ويحتج على ذلك بوجود التشابه بين أداة التعريف: the في الإنجليزية واسم الإشارة this : فيها ، وهذا التشابه بين أدوات التعريف وأسماء الإشارة حاصل في اللغة الألمانية كذلك .

ويرجح علماء اللغات السامية أن الأصل في أداة التعريف السامية ، هو (الهاء واللام) ، وهما عنصران يدخلان في تركيب كثير من أسماء الإشارة في اللغات السامية ، غير أن هذا الأصل ، لم تحتفظ به أية لغة من اللغات السامية ؛ ولذلك اختلف العلماء في تصوره ؛ إذ نجد في العبرية الهاء (ה) وحدها مشكلة بالفتحة القصيرة ، ثم نجد ما بعدها مشددة ، إذا لم يكن حرفا من حروف الحلق (א ח ה ע) ، فإن كان واحدة من هذه الحروف لم يشدد ، وأطيلت حركة الهاء في بعض الأحيان ، عوضا عن التشديد ، والتشديد في نظر هؤلاء العلماء ، علامة على إدغام العنصر الثاني من عناصر أداة التعريف في أول حروف الكلمة المعرفة ، فما هو ذلك العنصر الذي أدغم في هذا الحرف ؟ !

إننا نجد العنصر لأداة التعريف في العربية ، هو (اللام) فما المانع أن تكون تلك اللام ، هي التي أدغمت هنا في العبرية ؟

كانت تلك وجهة نظر من قال بذلك من علماء اللغات السامية ، أما العالم أونجناد فهو يرى أن العنصر الثاني هو (النون) وليس (اللام) ؛ لأن النون هي التي ينالها الإدغام كثيرا في العبرية ، إلى درجة أن الأفعال التي فاؤها نون ، قد كونت تصريفا بعينه في هذه اللغة ؛ مثل : נָתַן nāṯan أعطى .

נָגַשׁ nāġaš اقترب נפל nāfal سقط وغير ذلك .

أما الفعل : הָלַךְ lāḥaḥ أخذ ، فإن إدغام فائه ، وهى اللام ، في تصريفه ، ناتج بلا شك بتأثير مقابله في المعنى وهو الفعل : לָקַח أعطى ، بدليل وجود أفعال أخرى فاؤها لام ، ولا يحدث فيها مثل هذا الإدغام ؛ مثل : לָמַד lāmaḏ تعلم לָעַג lā ʿ aġ سب / هجا / شتم .

وقد ذهب أونجناد إلى هذا الرأي ، حين وجد عنصر التعريف في العربية الجنوبية هو النون (ן) التي تلحق آخر المعرف - كما ذكرنا من قبل ، وقد يؤيد ما ذهب إليه كذلك أن أداة التعريف في النقوش اللحيانية العربية هي الهاء في العادة ، غير أنها تظهر قبل الألف والعين في صورة (هن) بصفة مطردة .

أما إذا امتنع التشديد ، بسبب وجود أحد حروف الحلق ، فلماذا لم تظهر هذه اللام أو النون في نطق العبرية ، كما ظهرت اللام في اللغة العربية ؟ ولماذا استعيض عن ذلك بإطالة حركة الهاء في بعض الأحيان ؟ !

كان هذا التساؤل في رأينا ، هو ما دعا بروكلمان إلى أن يعد أصل الأداة في اللغة العبرية هو : הָ hā وهذه تبقى كما هي قبل حروف الحلق ، وتقصر حركتها ويشدد ما بعدها ، إذا لم يكن حرف حلق ؛ لأن نظام المقاطع لن يتأثر كمه بذلك .

ويستطيع بروكلمان بهذا الرأي أن يفسر الأداة الآرامية : ܐܳ ā بأنها ما تبقى من الأداة : hā (ܗܳ) بعد سقوط الهاء منها ، غير أنه لا يستطيع أن يجد بذلك تفسيرا لأداة التعريف في العربية الشمالية والعربية الجنوبية .

وإلى مثل ذلك يذهب برجشتراسر ؛ إذ يقول : والأدوات المستعملة في هذه اللغات لتأدية التعريف ، اثنتان : (hā) في العبرية والآرامية ، مع أنها تلحق بأول الكلمة في العبرية ، و بآخرها في الآرامية ، نحو hammēlek̲ أصلها : hāmēlek̲ في العبرية ، malkā أصلها malkhā في الآرامية ،

وهى (ʾal) في العربية .

والذين قالوا بأن أصل أداة التعريف السامية هي (الهاء واللام) ، قالوا : إن الألف حلت محل الهاء فيها ، في اللغة العربية ، كما أن اللام تدغم كذلك في العربية فيما بعدها ، إذا كان حرفا من الحروف الشمسية ، التي جمعها أحد الشعراء ، في أوائل كلمات البيت التالي :

طب ثم صل رحما تفز ضف ذا نعم دع سوء ظن زر شريفا للكرم

وهي ١٤ حرفا ، وما عداها لا تدغم فيه اللام ، وتسمى بالحروف القمرية ، واللام وإن كانت تدغم هنا مع الحروف الشمسية ، فإنها تظهر في الكتابة ، طردا للباب على وتيرة واحدة، وفي اللهجة العامية المصرية زادت الحروف الشمسية حرفين هما : الجيم والكاف ؛ فيقال : طلع اجبل ، وابن البلد اجدع ، وفين اكتاب ؟ وفلان عضه اكلب !

أما تقابل الألف في العربية مع الهاء في العبرية ، فله أمثلة كثيرة ؛ فالاستفهام في العربية بالألف ، وفي العبرية بالهاء، وصيغة (أَفْعَلَ) في العربية ، يقابلها הִפְעִיל hifʿīl في العبرية ، وصيغة (أُفْعِلَ) يقابلها הָפְעַל hofal إلى غير ذلك ، وفي بعض اللهجات العربية الحديثة تستخدم الهاء في اسم الإشارة وأداة التعريف ، بدلا من الألف ؛ فيقال : هليوم يعنى : اليوم ، و هرجل يعنى : الرجل ، فهل هذا من الإبدال في داخل اللغة

الواحدة (مثل : أراق و هراق) ؟ أو هي عناصر قديمة ؟ أو أن الكلام مختصر من اسم الإشارة مع المعرف ، بسبب السرعة في الكلام ، وأصل العبارة : هذا اليوم و هذا الرجل ؟

وفي بعض اللهجات العربية القديمة ، وهي طيىء و الأزد ، وقبائل حمير في جنوبي الجزيرة العربية ، تحل الميم محل اللام في أداة التعريف ، كما جاء في الآثار فيما رواه النمر بن تولب ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ليس من امبر امصيام في امسفر ، يعنى : ليس من البر الصيام في السفر ، وهي الظاهرة المعروفة عند علماء اللغة العرب ، بظاهرة : الطمطمانية .

وقد عرفنا من قبل أن اللام والميم والنون ، من الأصوات المتوسطة أو المائعة ، التي يبدل بعضها من بعض، والأمثلة على ذلك كثيرة من اللغات السامية نفسها ؛ مثل: אִם ʾim : العبرية ، التي تقابل في العربية : إن ، وفي السريانية ܐܢ ʾin وكذلك النهايات الإعرابية : im - am - um في الأكادية ، التي تقابل : in -an -un في العربية ، وغير ذلك كثير .

أما اللغة الحبشية ، فلا وجود لأداة التعريف فيها ، وكذلك الحال في اللغة الأكادية ، وفي كل اللغات السامية يتعرف من الأسماء ما أضيف إلى معرفة ، ضميرا كانت تلك المعرفة أو اسما ظاهرة .

هذا هو التعريف ، أما التنكير فله في العربية الشمالية والجنوبية أداة معينة ، تلك هي الميم ( ) في الجنوبية ، ويرجح بروكلمان أنها مختصرة من (ما) بمعنى : شيء ما الموجودة في العربية الشمالية، وقد تحولت هذه الميم إلى (نون) في العربية الشمالية ، فأصبح في الجنوبية (التمييم) وفي الشمالية (التنوين).

و (التمييم) موجود في الأكادية كذلك ، ولكن بغير معناه الأصلي ، ويظهر أن كلمة : (ما) التي ترتبط بها نهاية التمييم ، لم يكن لها هناك معنى العموم ، وإنما كانت تدل على التفخيم والتعظيم .

وهناك بقايا للتمييم في العربية ، في كلمة : فم و ابنم في مثل

قول المتلمس :

وهل لي أم غيرها إن هجوتها أبى الله إلا أن أكون لها ابنما

بدليل أن الإعراب يجري في هذه الكلمة الأخيرة على النون والميم معا ، ولا توجد هذه الأداة الدالة على التنكير ، في الحبشية والعبرية ، إلا متجمدة في بعض الظروف ؛ فمثلا في اللغة الحبشية : 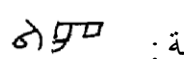 temālem

أمس ، وفي العبرية : 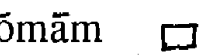 yōmām نهارا / كل يوم .

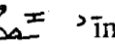

ولا تزال كذلك في الآرامية ؛ مثل : ʾīmāmā ܐܝܡܡܐ نهارا ، غير أنها تعد هنا جزءا من الكلمة ؛ ولذلك جاءت بعدها ألف التعريف ، وأصلها قبل دخول تلك الألف ܐܝܡܡ ʾīmām .

ولقد كان قدامى اللغويين العرب ، يعرفون أن الأصل في التنوين في العربية هو التنكير ، بدليل قول ابن جني مثلا : ويدل عندي على أن حرف التعريف ، قياسه أن يكون على حرف واحد ، أنه نقيض التنوين ، وذلك أن التنوين يدل على التنكير ، واللام تدل على التعريف .

كما يقول ابن جني كذلك : التنوين علم التنكير ، والإضافة موضوعة للتعريف ويقول أيضا : التنوين دليل التنكير ، والإضافة موضوعة للتخصيص .

وينفي السهيلي ما شاع عند النحاة ، من أن التنوين في الأسماء المعربة للتمكين ، وإن كان يعده علامة الانفصال ؛ فيقول : التنوين علامة للانفصال ، وإشعار بأن الاسم غير مضاف إلى ما بعده ولا متصل به ، وليس دخول التنوين في الأسماء علامة للتمكن ، كما ظنه قوم .

ودخول التنوين وهو للتنكير كما ذكرنا من قبل في الأعلام العربية ؛ مثل : (محمدٌ و عَلِيٌّ) ، أمر صعب التفسير ؛ لأن العلم معرفة ، كما تعلم، غير أنه يمكن أن يكون في كل علم شيء من الشيوع ، وإن كان أقل من شيوع

النكرة ؛ إذ كثيرون يسمون بمحمد وعلى وغيرهما ؛ فالتنوين في الأعلام للدلالة على هذا الشيوع النسبي ؛ ولذلك نراه يزول عندما يوصف العلم بكلمة : ابن ؛ لأن الدائرة قد ضاقت بهذا الوصف ، وأصبح العلم محددا غاية التحديد ، ببيان النسب ؛ ولذلك لا يدخله التنوين في هذه الحالة ؛ فيقال مثلا : محمد بن *على* وما أشبه ذلك .

وقد أحس ابن جني بهذا التنكير النسبي في الأعلام ؛ فقال : التنوين دليل التنكير ... فإن قلت : فإذا كان الأمر كذلك ، فما بالهم نونوا الأعلام ، كزيد وبكر ؟ قيل : جاز ذلك ؛ لأنها ضارعت بألفاظها النكرات ؛ إذ كان تعرفها معنويا لا لفظيا ؛ لأنه لا لام تعريف فيها ولا إضافة ، وليس حذف التنوين من العلم الموصوف بابن هنا ، بسبب التقاء الساكنين ، كما يدعي بعض النحاة ؛ بدليل حذفه من : هند بنت عاصم ، على لغة من صرف هندا ، وإن لم يلتق هنا ساكنان ، ويدل على أن التنوين في الأعلام لتنكيرها كذلك ، أنه إذا تحدد تعريف العلم تحديدا قاطعا بالنداء ، منع التنوين ؛ كقولنا مثلا : يا محمد و يا على .

ويذهب برجشتراسر في موضوع التنوين إلى احتمال آخر ؛ فيري أن التنوين ، وإن كان علامة التنكير في كل ما بقي من مستندات اللغة العربية ، فربما كان في الأصل علامة للتعريف ؛ فقد ذكرنا أن أصل التنوين هو التعميم ، وإنا نرى للتمييم آثارا من معنى التعريف في الأكادية العتيقة .

فإن قال قائل : فكيف يمكن أن يصير ما كان يشير إلى شيء واحد في الأول ، مشيرا إلى ضده فيما بعد ؟ قلنا إن مثل ذلك ليس بمحال في حياة اللسان ، وقد نشاهد في تاريخ اللغة الآرامية طبق ما فرضناه من تبادل التعريف والتنكير ؛ وذلك أن أداة التعريف كانت في الآرامية العتيقة ، فتحة ممدودة ملحقة بأخر الكلمة ؛ نحو šum : أي : اسم ، و šmā أي : الاسم . وربما كان أصل الفتحة الممدودة : (hā) : التي هي آلة التعريف في العبرية ، غير أنها تلحق فيها بأول الكلمة ، نحو šēm : أي : اسم ، و haššēm أي : الاسم ، وتشديد الشين فيها ، عوض عن مد الحركة .

ثم بعد ذلك صارت أداة التعريف في اللغة الآرامية ، تخلق بالاستعمال الكثير ، وتضعف قوتها المعرفة ، ومثل ذلك كثير في تاريخ اللغات ، فنجد الفتحة الممدودة في السريانية ، تلحق بأكثر الأسماء ، معرفة كانت أم نكرة ، نحو : mḏīttā ḥḏā أي : مدينة واحدة ، أو بالأحرى : إقليم واحد ... وبسبب ضعف آلة التعريف العتيقة ، احتاجوا إلى وسائل جديدة لتأدية التعريف ، فاخترعوا كثيرا منها في اللغات الآرامية ، على اختلافها ، فأدى ذلك إلى أن كل كلمة لا يوجد معها إحدى تلك الأدوات الجديدة ، تلقى كأنها نكرة ، وإن ألحقت بآخرها الفتحة الممدودة ، فصارت هي علامة للتنكير .

١١ـ الأعداد في اللغات السامية

واحد : في العربية (أحد) ، والمؤنث (إحدى) ، وفي الحبشية

ʼahadú والمؤنث ʼáhatī : ، وفي العبرية ʼehād والمؤنث : ʼáhat

، وفي الآرامية had والمؤنث: hdā ، وفي الآشورية حلت

ištēn محل ēdu وحيد .

اثنان : في العربية اثنان - ثنان، والمؤنث : اثنتان- ثنتان، ، وفي الحبشية (=

kelʼē في العربية : كلا)؛ وفي العبرية šěnāyim والمؤنث:

šittayim (وفي إعجام المدرسة الطبرية ، قياسا على المذكر

štayim ، وفي الآرامية trēn والمؤنث : tarten ، وفي الأشورية :

šinā والمؤنث : šittā .

ثلاثة : في العربية : ثلاث، والمؤنث : ثلاثة ؛ وفي الحبشية šalās والمؤنث

: šalāstū ، وفي العبرية šālōš والمؤنث: šělōšā ، وفي

الآرامية : tlāṯ والمؤنث tlāṯā : ، وفي الآشورية šalāši والمؤنث šalāšti .

أربعة : في العربية :أربع ، والمؤنث : أربعة ، وفي الحبشية ʾarbaʿ والمؤنث ʾarbaʿtu : ، وفي العبرية : ʾarbāʿ والمؤنث : ʾarbāʿâ ، وفي الآرامية ʾarbaʿ : والمؤنث : ʾarbʿā ، وفي الأشورية ʾarbaʾi والمؤنث: erbitti .

خمسة :في العربية : خمس ، والمؤنث : خمسة ؛ وفي الحبشية ḫames والمؤنث ḫamestu : ؛ وفي العبرية ḥâmeš والمؤنث: ḥămiššā (قياس بنائي على العدد التالي šēš و šiššā بدلا من الأصل ḫamšā) ، وفي الآرامية) ḫameš (بدلا من ḥmeš قياسا على ʾarbaʿ) والمؤنث ḫamšā ، وفي الآشورية ḫamši والمؤنث ḫamisti . : .

ستة : في العربية : ست، والمؤنث: ستة ؛ وفي الحبشية والمؤنث ، وفي العبرية والمؤنث: ؛ وفي الآرامية والمؤنث

، وفي السريانية (قياسا على :) ، وفي الآشورية :

والمؤنث: .

سبعة : في العربية : سبع، والمؤنث سبعة ، وفي الحبشية والمؤنث: ؛ وفي العبرية والمؤنث : ، وفي الآرامية والمؤنث: ، وفي الأشورية والمؤنث .

أن الصوت الأول الأصلي ، قد احتفظت به الأشورية والسامية الجنوبية (حيث لا ترجع السين إلى الشين) بدليل مطابقته للمصرية القديمة في مقابل ستة على حين حمل في العبرية والآرامية ، على الرسم ستة .

ثمانية : في العربية : ثمان، والمؤنث : ثمانية ؛ وفي الحبشية والمؤنث : ، وفي العبرية والمؤنث : ، وفي الآرامية :

 والمؤنث: ؛ وفي الآشورية والمؤنث : وصوت السين في الآشورية ، بدلا من صوت الشين المنتظر ، حسب القانون الصوتي ، إنما هو قياس على : .

تسعة :في العربية : تسع، والمؤنث : تسعة ، وفي الحبشية والمؤنث : ، وفي العبرية والمؤنث: ؛ وفي

الآرامية tšaʿ والمؤنث: teš ʿā ؛ وفي الآشورية tiši والمؤنث:

tišit .

عشرة : في العربية : عشر، والمؤنث : عشرة ؛ وفي الحبشية ʿašrū والمؤنث : ʿašartū ؛ وفي العبرية ʿeśer والمؤنث : ʿăśārā ، وفي الآرامية ʿsar والمؤنث : ʿesrā؛ وفي الآشورية ʿešri والمؤنث: ʿešerit .

والعددان : واحد و اثنان، صفتان ، أما الأعداد الباقية فهي أسماء يتعلق بها المعدود أصلا ، في صورة المضاف إليه ، غير أنه يوجد في كل اللغات بدايات لاستعمالها صفات كذلك ، والأعداد من ثلاثة إلى عشرة ، تقع في الجنس المخالف لجنس المعدود ، دائما في الأصل ، غير أن هذا الاستعمال اللغوي ، قد تقهقر كذلك ، لاسيما في الحبشية ، تقهقرا شديدا ، برجحان المؤنث على المذكر.

و أما الأعداد من ١١ إلى ١٩ فإنه يعبر عنها ، بالاتصال المباشر للآحاد ، التي تقع في الأول بالعشرة ، حيث تذكر هذه إذا كانت الآحاد مؤنثة ، والعكس بالعكس ، وهذه التراكيب غير معربة في العربية ، تنتهي بالفتحة القصيرة (بالنسبة للعدد ١٣ في الأشورية ، وفي العشرة هنا حركات أخرى ، مغايرة

لحركاتها في العقد الأول ، ففي العربية : عشر، والمؤنث : عشرة ، وفي العبرية : ʿâśâr والمؤنث: ʿeśrē ، والحبشية وحدها تبني هذه الأعداد ، بربط الآحاد بالعشرات المطابقة للأعداد الأصلية ، بواسطة واو العطف (wa) .

أما العشرات من ٣٠ إلى ٩٠ فإنها تؤخذ أصلا من الآحاد ،يجمعها جمعا مذكرا، و أما العدد ٢٠ فإنه يبنى ، على العكس من ذلك ، بتثنية العدد ١٠ بالنهاية: ā ، أي: (ʿiśrā ، وفي الحبشية والأشورية: ʿešrā ، غير أنه في هاتين اللغتين ، قيست على ٢٠ كل العشرات التالية لها في نهايتها ، مثل: šalāsā في الحبشية ، šelāšā في الأشورية ، وغير ذلك - على حين تبعت ٢٠ في اللغات الأخرى، العشرات الباقية ، مثال ذلك في العربية : عشرون ، وفي العبرية ʿeśrīm : ، وفي الآرامية: ʿesrīn .

مائة : في العربية مائة (وفي كثير من اللهجات ، وكذلك أيضا في اللهجة التي وضع الخط على أساسها : ماية māyatun) ، وفي الحبشية : meʾet ، وفي العبرية : mēʾâ ؛ وفي الآرامية : mĕʾā ؛ وفي السريانية : mā ؛ وفي الأشورية في حالة الإضافة : meʾat .

ألف : في العربية : ألف ، وفي العبرية : ؛ وفي آرامية العهد القديم : ، وفي السريانية : ، بمد الحركة مدا غير قياسي ، بسبب الحماس المعتاد في نطق الأعداد العالية ، وفي الحبشية : 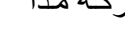 ، أما الألف في الأشورية ، فالراجع أنه : .

والعدد الترتيبي من العدد (واحد) ، يبني كما في اللغات الهندأوروبية ، لا من العدد الأصلي ، ولكن من أصول مختلفة في اللغات السامية ، ففي العربية : أول ، والمؤنث : أولي ؛ وفي العبرية : (مأخوذة من = رأس) ؛ وفي الحبشية : ؛ وفي الآرامية : ، وفي الآشورية ، يمكن للعدد الأصلي : : أن يستعمل عددا ترتيبيا كذلك ، أما الأعداد الترتيبية من ٢ إلى 10 في العربية والحبشية ، فإنها تبنى بوزن اسم الفاعل ، من الثلاثي المجرد (فالثاني في العربية : ثان ، وفي الحبشية : ومعناه اليوم التالي ، أما الثانى، مطلقا ، فهو فيها : ، أما العبرية والآرامية ، ففيهما تبني الأعداد الترتيبية من ٣ إلى ١٠ بوزن فعميل، المتصل بنهاية النسب (فالثالث في العبرية : ، وفي الآرامية :

tĕlītāyā ، أما العدد الترتيبى من ٢ فهو في العبرية : šēnī ، وفي

الآرامية tenyānā : ، إلى جانب الصينية الحديثة : trayyānā في

السريانية ، أما الأشورية ، فتبنى الأعداد الترتيبية على وزن : katul ،

مثل šalšu والمؤنث : šalultu .

أما الكسور فتبنى على وزن فعل، ، ففي العربية : ثلث ، وفي الآرامية :

tultā ، وفي العبرية : ḥōmeš ، وفي الآشورية :

šuššān ومعناها في الحقيقة (سدسان)، أما الحبشية ، فإن هذه الصيغة

فيها ، تدل على الكثرة ، مثل : šels مثلث ، وغير ذلك.

١٠ـ الظروف وحروف الجر والأدوات

بعض هذه الكلمات في اللغات السامية ضمائر ، وبعضها الآخر أسماء في الأصل وليس لسردها هنا مكان ، غير أنه يجوز الإشارة هنا إلى أحد الأقيسة النحوية المهمة في حروف الجر ، فإن الأصل في (على) ، هو (

: ʿalay في العربية : على وفي الحبشية : lāʿla ، وفي العبرية

والآرامية : ʿal ، كما أن الأصل في (إلى) هو : ʾilay ، وفي العبرية ʾel : ، وفي العربية : إلى ، وقد احتفظ بهذا الأصل في الحرفين قبل الضمائر المتصلة ، ولذلك انتقل هذا البناء الذي يبدو كبناء المثنى أو الجمع ، إلى كثير من حروف الجر الأخرى ، في العبرية والآرامية ، وعلى الأخص في الحبشية ، ففي العبرية يبنى قياسا على : ʿălēhem عليهم ، أيضا : taḥtēhem تحتهم ، وكذلك : bēnēhem بينهم، وغير ذلك ؛ وفي الآرامية : tĕḥōṯayhōn ؛ baynayhōn ؛ و غير ذلك • ومثل ذلك في الحبشية : ʾemnēhū منه ؛ meslēhu به ، وما أشبه ذلك.

١٢ - حالات الإعراب في اللغات السامية

بينما لا يمكن أن يعزى بكل تأكيد ، إلى اللغة السامية الأولى ، تلك الفروق التي توجد في الجمع بين حالة الرفع وحالتي النصب والجر ، والتي لا تظهر إلا في العربية القديمة والبابلية القديمة ، فإنه من الراجح أن هذه اللغة ، كانت تملك في المفرد ، حالات إعرابية راقية نوعا ما .

وأنه ليظن أن السامية الأولى ، كانت تفرق بين حالة الرفع ، بوصفها حالة تحديد للمسند إليه ، وربما المسند أيضا ، بالنهاية (u) ، وحالة الجر بوصفها

حالة تحديد للاسم ، بالنهاية (i) ، وأخيرا حالة النصب بوصفها حالة تحديد للفعل ، بالنهاية (a) وإلى جانب ذلك يأتي ـ دون علاقة بهذا التصريف ـ حالة الظرفية ، بالنهاية(u) تلك الحالة ، التي ربما لا تكون مقصورة ، في السامية الأولى ، على المفرد ، ولكنها انتقلت كذلك إلى الجمع والمثنى .

والأصل الأول لكل نهاية على حدة غامض ، وعلى أية حال فقد كانت الحركات أصلا طويلة ، غير أنها أصبحت في السامية الأولى ، جائزة التطويل والتقصير anzeps ، وربما كان الشكل الكامل ، لنهاية النصب، موجودا في الحبشية hā ، وكذلك في الأعلام في الأكادية ، وقد تكون hā هذه ، متصلة بسبب وثيق بالأداة hā الإشارية ، أي أنها قد تكون دالة في الحقيقة ، على التوجه نحو شيء ما ،وقد تكون نهاية الرفع ، راجعة طبقا لذلك ، إلى الضمير (hū) ، وأخيرا بالنسبة إلى نهاية الجر (i) ، ليس الافتراض نهائيا ، ان لها صلة بالنهاية(īy) ، والتي تكون صيغة النسب والتبعية ، وهناك إلى جانب هذه النهاية في اللغات السامية ، وسيلة أخرى كذلك للتعبير عن علاقة الإضافة بين اسمين ، فالاسم الأول المضاف، يتصل بالثاني المضاف إليه ،، اتصالا وثيقا عن طريق النبر ؛ ولذلك يقع في حالة إضافة .

وقد احتفظت العربية القديمة ، بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة ، غير أن الحركات قد قصرت ، ولا تحتفظ بطولها إلا في الوقف والقافية أحيانا ، وقد

بقيت طويلة دائما ، في كلمات القرابة في حالة الإضافة : أب، و أخ و حم، ؛ تلك الكلمات التي يعوض فيها سقوط لام الكلمة ، بهذا الطول للحركة .

وإلى جانب هذا الإعراب الكامل ، هناك في العربية كذلك نوع من الإعراب الناقص، تشترك فيه حالة الجر مع حالة النصب ، في النهاية (a) ، ويتمثل ذلك على الأخص في الأعلام ، وبعض الأبنية التي تشبه الفعل شبها شديدا ، ويرجع أن ذلك قد انتقل إليها من الفعل المضارع ، الذي لا يفرق فيه إلا بين حالتين فقط ، من حالات الإعراب، إما اشتراك جمع المؤنث السالم ، في حالتي الجر والنسب ، في الإعراب بنهاية واحدة ، فإنه يرجع إلى سبب صوتى خالص، حين تتحول نهاية النصب : **āta** إلى : **āti** وقد تركت حالات الإعراب في اللهجات الحديثة، بسقوط النهايات الحركية؛ لأسباب صوتية ، وبقيت فيها بعض هذه الحالات ، تحت حماية الضمائر المتصلة .

وفي الحبشية ، بقيت حالة الرفع في الأعداد لا غير ، مثل : **ʾaḥadū** واحد، أما حالة النسب بالنهاية (a) ، لقد بقيت حية كلية، غير أن دائرة استعمالها قد اتسعت : إذ تدخل في حالة الإضافة ، للدلالة على حالة الرفع ، وذلك مثل **ʾegzāʾabeḥēr** سيد العالم = الله ، وقد بقيت نهايتا الرفع والجر ، ولكن بدون معناهما الأصلي ، قبل الضمير المتصل ، وذلك في صورة الحركة المجهولة (e) ، وفي كلمات القرابة : أب و أخ، و حم، ، بقيت الحركة الطويلة

(ū) لحالة الرفع، والحركة الطويلة (ā) لحالة النصب ، قبل الضمائر المتصلة .

وفي العبرية ، لم تبق كذلك إلا حالة النصب (â) ، غير أنها لا تدل على حالة المفعول المباشر ، بل على الاتجاه المكاني نحو شيء ما، لا غير ، نحو : hūṣā. إلى الخارج، bāḇélā إلى بابل ، وقد بقيت متجمدة في كلمة láylā ومعناها في الأصل : ليلا ، ثم أصبحت تعني ليل مطلقا ، كما بقيت حالة النصب بدون معناها الأصلي ، قبل الضمير المتصل للمفرد الغائب المذكر ahū > ō) : والمؤنث: ahā > āh ، وبقيت حالة الجر ، في صورة الحركة الطويلة (ī) في كلمات القرابة الثلاث ، في حالة الإضافة ، وقبل الضمير المتصل ؛ مثل: ʾâḇīḵā أبوك، وغير ذلك ، وقد انتقل ذلك قياسا من الأعلام ، مثل: ʾAḇīméleḵ ، إلى غيرها التي لا يوجد فيها إحدى كلمات القرابة ، مثل: Malkīṣéḏeḵ ، وفي اليونية : Hannībáal وكذلك

بعض التراكيب المسماة appellative (المنادى المضاف إلى ياء المتكلم) مثل : bĕnī 'ătōnō مهر أتانه ، كما بقيت نهاية الجر في صورة i > e ، قبل الضمير المتصل للمخاطبة المفردة eh ،ولا توجد حالة الرفع ، إلا في البقايا المتجمدة من الأعلام ، مثل Mĕtūšĕlaḥ : وفي البونية : ʿAzrūbaʿal = Hasdrubal مساعدة البعل ، التي يرجع أنها بناء قياسي على كلمات القرابة .

وفي الآرامية ، لم يبق - فيما عدا حالة النصب ، في آرامية العهد القديم ، في ʿellā فوق ، إلا بعض حالات الإعراب المتجمدة، قبل الضمائر المتصلة ؛ فقد بقيت نهاية الرفع (ū) في كلمات القرابة الثلاث ، ونهاية الجر (ī) في ضمير المخاطبة eh وضمير الغائب eh ونهاية النصب (ā) في ضمير المخاطب īh وضمير الغائبة āh ، وكذلك في ضمير المتكلمين : anī التي قصرت الحركة فيها ، قياسا على الفعل .

وفي البابلية القديمة ، لا تزال حالات الإعراب الثلاث ، حية كلها في الاستعمال ثم اختلطت في الاستعمال اللغوى ، الفروق الإعرابية شيئا فشيئا ،

ولذلك استعملت النهايات مختلطة غالبا ، إلا أنه يرجع أن ذلك لم يكن إلا في الكتابة ، التي تقلد خطأ الكتابة القديمة ، بعد أن أختفي الإعراب من اللغة الحية

وقد بقيت حالة الظرفية بالنهاية (ū) ، أكثر ما تكون شيوعا في الآشورية، ولم يحدث ذلك في المفرد فحسب ، بل حدث في المثنى كذلك ، مثل šēpū'a على رجلي، وفي العربية والحبشية ، تتمثل هذه الحالة في عدة ظروف ؛ مثال ذلك في العربية : تحت وقبل، و بعد ؛ وفي الحبشية : lā'lū فوق ، tāḥtū تحت ؛ qadīmū قديما ، و بالتمييم في *temālum > temālem ، وفي العبرية لا تزال هذه النهاية موجودة في مفرد مع التمييم هو *šilšum > šilšom قبل أمس ، وفي جمع هو yaḥdayu > yaḥdâw معا .

مصادر ومراجع الكتاب

١ـ د. رمضان عبد التواب :

ـ المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

ـ فصول في فقه اللغة العربية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٢ـ د. غازي مختار طليمات : في علم اللغة ، دار طلاس ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .

٣ـ كارل بروكلمان : فقه اللغات السامية المقارن ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ، جامعة الرياض ، ١٩٧٧م .

٤ـ د. محمد عبد الصمد زعيمة ، دراسات في علم اللغة المقارن ،دار الثقافة للطبع و النشر ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٥ـ د.هاشم الطعان ، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ، د.ط ، د.ت .